

بعض الجوانب الحضارية في مكة المكرمة

منذ القرن الرابع عشر الهجري وحتى وقتنا الحاضر

دراسة تحليلية مقارنة

المقدمة :

تناول المؤرخون المسلمون بكل أطيافهم تاريخ مكة المكرمة ، فقد سُجل تاريخها في كتب الحديث والسير وموسوعات التاريخ وكتب التراجم العامة والخاصة والرحلات الحجازية وكتب التاريخ العامة والخاصة ، ومنها مؤلفات مؤرخي مكة المكرمة منذ أن أفرد الفاكهي ومن بعده الأزرقى و الأسدي مؤلفاً مستقلاً عنها ، وتبعهم بعد ذلك الكثير من مؤرخيها مثل الفاسي ، والطبرين ، وبني فهد والنهروالي وغيرهم كثير^(١) .

وتعددت اهتماماتهم في تسجيل تاريخها ، فمنهم من طغى لديه الجانب العمراني أو الحضاري أو العلمي أو السياسي أو

(١) انظر : الهيلة ، محمد الحبيب . التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر؛ جمع وعرض وتعريف كامل المؤلف -٠ ط١ - مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، ١٩٩٤ م .

الدكتورة :

عواطف بنت

محمد نواب*

* بكالوريوس في التاريخ جامعة أم القرى عام ١٤٠٤ هـ .

- ماجستير في التاريخ الإسلامي من الجامعة نفسها عام ١٤١٢ هـ .

- دكتوراه في التاريخ الحديث من الجامعة نفسها عام ١٤٢٠ هـ .

- تعمل الآن - رئيسة قسم اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بكلية إعداد المعلمين بمكة المكرمة .

الطبعة

السنة التاسعة

العددان : الرابع والخامس والثلاثون

جمادى الآخرة - رمضان ١٤٢٧ هـ
يوليو - أكتوبر ٢٠٠٦ م

الاجتماعي ؛ ومنهم من كتبه على هيئة حوليات أو تراجم كل بحسب ميله . ومهما كان ميل هذا المؤرخ أو ذاك ، فقد رصدوا دقائق تاريخها الذي تطابق مع واقعهم المعاش بحكم أنهم أبناءها وأدري الناس بها .

ونحن اليوم بمناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية لعام ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م . سنتخير بعضاً من مؤرخي مكة المكرمة الحديثين ؛ ممن كان لهم فضل في المحافظة على ما وجد في عهدهم مثل : محمد عمر رفيع ومحمد طاهر كردي ومحمد علي مغربي، ومن ثم مطابقة نصوصهم مع الواقع الذي تعيشه مكة المكرمة الآن ؛ في عمل يحمل عنوان : (بعض الجوانب الحضارية في مكة المكرمة منذ القرن الرابع عشر الهجري وحتى وقتنا الحاضر) . ولن نبتعد بالسنوات في الماضي كثيراً ، فما حدث من تغيرات في فترة ما دونه وما عليه الوضع الحالي لأمر يدعو للدهشة ، فما حافظ عليه أهل مكة المكرمة مئات السنين من حيث بساطة الحياة وطريقة بناء المنازل وتأثيراتها وإضاءتها ، وطريقة وصول الماء إليها ، بل لقد شمل التغير أنواع الملابس والأطعمة وأسلوب التداوي ، علاوة على الأعمال التي كانوا يزاولونها لكسب عيشهم سواء منها التجاري أو الصناعي أو الطوافة .. كل ذلك قد تغير في بضع عشرات من السنين . أما ما بقي فهو رمز للماضي الذي أصبح الآن بعيداً بالرغم من قربه .

لكل شعب حياة حضارية خاصة به، يتداولونها جيلاً بعد جيل هم حراسها والقائمون عليها ، وإن شذ أحدهم عما ألفوه اعتبروه خالف الأعراف وحلق خارج سربهم . فحضارة أي شعب لبنات توضع فوق بعضها بتعاون تلقائي من جميع أفراد المجتمع على مر السنين حتى تتأصل وتصبغ بطابعهم الثقافي وتصبح جزءاً من حياتهم ، وهذا بطبيعة الحال ينطبق على مكة المكرمة أيضاً .. ولكن ما كنا نشاهده

أو نسمع به في السنوات القليلة الماضية ، آخذ في الاندثار والتغير الذي فرضته حضارة هذا الوقت ومكتشفاته العلمية التي أضافت أنماطاً وألغت أخرى .. ومن خلال هذه الصفحات القليلة القادمة سنحاول رصد بعض ما كان وما آل عليه الوضع الآن ، حتى نرى مدى التطور الحضاري الحاصل وسرعته في حياة أهل مكة المكرمة، وكل ذلك مستند على النصوص التاريخية والواقع. وأحسب أنني بموضوعي هذا أكون قد قدمت جزءاً صغيراً يضاف إلى من سبقني في تناوله ولبنة تضاف لمن يكمل بعدي.

الموقع الجغرافي :

مما لا ريب فيه أن موقع مكة المكرمة الجغرافي والديني، فرض على أهلها لوناً حضارياً انفردت به عن غيرها من المدن الإسلامية ، وشمل طريقة بناء المنازل والمواد المستخدمة فيها . فمكة المكرمة تقع كما ذكر الله تعالى : ﴿بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾^(١) وترتفع عن سطح البحر الأحمر بنحو ٢٨٠ م. وكان حدها العمراني إلى الثمانينيات من القرن الرابع عشر الهجري من الشمال إلى الجنوب ميلين ، وعرضها شرقاً من جبل أبي قبيس إلى أسفل جبل قعيقعان - جبل هندي الآن - من الغرب ميل واحد . فهي بوادٍ يسميه أهلها وادي إبراهيم - ولا يزال يعرف بهذا الاسم إلى اليوم - ويحيط به سور من الجبال الشامخة بنيت على سفوحها وقممها والشعاب المتفرعة من الوادي الكثير من المنازل ؛ كشعب عامر ، شعب بني هاشم الذي يعرف بسوق الليل - وقد دخل في توسعة ساحات الحرم المكي الشريف - وشعب أجياد الكبير والصغير - الذي شقه الكثير من الأنفاق ؛ لتسهيل الانتقال بين

(١) سورة إبراهيم ، الآية : ٣٧ .

أطراف مكة وأحيائها الجديدة : ولكبر شعب أجياد وصعوبة المنطقة لوجود الجبال الكبيرة وعدم وجود ممرات قسم إلى أحياء منها : السُّد، بئر بليلة، شعب قریش، برحة الطفران ، المسیال ، جبل السبع بنات ، جبل المصافي ، جبل بخش .
ولإحاطة الجبال بمكة المكرمة لم تحتج لسور : إلا في الثغرات التي تفضي لمداخلها الأربعة .. وربما يعود هذا البناء إلى عهد المقتدر بالله العباسي^(١) وجدد في زمن أمير مكة المكرمة أبي عزيز قتادة^(٢) عام ٧٠٦هـ / ١٢١٠م^(٣) وهذه المداخل هي : في الشمال الشرقي الطريق المؤدي لمنى ، وفي الجنوب الطريق إلى اليمن ، وفي الشمال الغربي الطريق إلى وادي فاطمة ، وفي الغرب الطريق المؤدي لجدة^(٤) .

- (١) جعفر بن أحمد بن طلحة أبو الفضل المقتدر بالله ابن المعتضد . ولد ببغداد عام ٢٨٢هـ / ٨٩٤م . تولى الخلافة عام ٢٩٥هـ / ٩٠٧م . وخلع وأعيد مرة أخرى . كان مبذراً ضعيفاً كثرت الفتن في عهده . قتل عام ٣٠٩هـ / ٩٢١م . انظر : ابن دقماق ، ابراهيم بن محمد بن ايدمر العلائي (٨٠٩هـ / ١٤٠٦م) . الجوهر الثمين في سير الملوك والسلطين : تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي - ط ١ - عالم الكتب ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص ١٦٦ - ١٧٢ .
- (٢) قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم . يكنى بأبي عزيز النيبعي . ولي مكة المكرمة عشرين سنة . كان أديباً شاعراً . توفي عام (٦١٧هـ / ١٢٢٠م) . انظر : الفاسي ، تقي الدين محمد بن أحمد الحسيني (٨٣٢هـ / ١٤٢٨م) . العقد الثمين في أخبار البلد الأمين : تحقيق محمد حامد الفقي وفؤاد سيد - ط ٢ ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م - ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ج ٧ ص ٣٩ - ٦١ .
- (٣) ابن المجاور ، جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد (٦٩٠هـ / ١٢٩١م) . تاريخ المستبصر : ضبط وتصحيح أوسكر لوفغرين طبع بريل - لندن ، ١٩٥١م . ص ٩ - ١٠ . الفاسي ، تقي الدين محمد بن أحمد الحسيني (٨٣٢هـ / ١٤٢٨م) . شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام : تحقيق عمر عبد السلام التدمري - ط ١ - بيروت - لبنان : دار الكتاب العربي ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ج ١ ص ٢٦ .
- (٤) باشا ، إبراهيم رفعت . مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية محلاة بمئات الصور الشمسية - بيروت : دار المعرفة ، د . ت ، ج ١ ، ص ١٧٨ . رفيع ، محمد عمر . مكة في القرن الرابع عشر الهجري - ط ١ - نادي مكة الثقافي ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ص ١٧ .

لقد أشار المؤرخون القدماء إلى وجود سور في ثلاثة من مداخلها: بني
لضرورة اقتضاها ذلك الوقت ، فبني من جهة المعلاء والمسفلة والعمرة ووضعت عليه
أبواب تقفل عند الضرورة^(١). ولكن هذه الأسوار بأبوابها اندثرت منذ أمد بعيد ،
خاصة بعد امتداد العمران وانتفاء الحاجة لها ، فما سجله المؤرخون عن حد مكة
المكرمة العمراني توسع الآن كثيراً حيث غدا يربو على الثلاثين ميلاً من جميع
جهاتها ابتداءً من المسجد الحرام في فترة أقل من خمسين عاماً .

الطرق والحدارات :

وصف المؤرخون شوارع وطرق مكة المكرمة بالضيق وعدم الانتظام ، فيما
عدا شارعها الرئيس الذي يقطعها من الجنوب الغربي إلى شمالها الشرقي بادئاً من
جرول ، ماراً بباب العمرة ثم المسعى وطريق القشاشية وسوق الليل^(٢) إلى آخر مكة
من جهة المعلاء ، ويختلف عرض هذا الشارع من مكان لآخر، فمرة عرضه ثمانية أو

- (١) ابن جبير ، أبو الحسين محمد بن أحمد (ت ٦١٤هـ / ١٢١٧م) . تذكرة بالأخبار عن اتفاق
الأسفار (رحلة ابن جبير) - بيروت : دار صادر ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، ص ٨٧-٨٩ ، ٩١ . ابن
المجاور . تاريخ المستبصر ، ص ٩-١٠ . العبدري ، أبو عبد الله محمد (كان حياً سنة
٦٨٨هـ / ١٢٨٩م) . الرحلة المغربية: تحقيق محمد الفاسي - الرباط ، ١٩٦٨م . ص ١٧٣ .
التجيبى ، القاسم بن يوسف (ت ٧٣٠هـ / ١٣٢٩م) . مستفاد الرحلة والاعترا ب : تحقيق
عبد الحفيظ منصور - ليبيا - تونس : الدار العربية للكتاب ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .
ص ٢٣٢-٢٣٣ . ابن بطوطة ، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م) . تحفة
النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (رحلة ابن بطوطة) - بيروت : دار بيروت ،
١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م . ص ١٣١ . البلوي ، خالد بن عيسى (ت ٧٨٠هـ / ١٣٨٧م) . تاج المشرق في
تحلية علماء المشرق : تحقيق ومقدمة الحسن السائح ، د . ت ، ج ، ١ ، ص ٣٠٨-٣٠٩ .
(٢) (سوق الليل) يقال في سبب التسمية : لأن أهل مكة يتبايعون فيه ليلاً .

عشرة أو عشرون متراً^(١) ، ولا يزال هذا إلى الآن في الأحياء القديمة ، ويقع على هذا الشارع حارات نافذة مثل حارة الباب^(٢) ، والشبيكة وسوق الصغير وأجياد^(٣) . وسوق الليل وسوق الصفا والمسعى والقشاشية عن اليمين يليها الغزة ثم سوق المعلاة والبياضية - الجميزة - وعن يسار القشاشية المسعى إلى المروة الذي به يساراً باب السلام ويميناً طريق المدعى ثم الجودرية ثم الحناطة ، ومن حارة الباب ينفذ إلى سوق الشامية ومنه إلى المروة^(٤) .

وما دونه المؤرخون من أسماء هذه الحارات لا زال باقياً إلى الآن بمسمياتها ، ولكن لم يعد يسكنها من أهل مكة المكرمة الآن إلا عدد قليل ؛ لأسباب منها : إقامة مشروعات التوسعة للحرم المكي الشريف وساحاته المحيطة ، إضافة إلى التوسع في بناء الفنادق والأبراج الضخمة وما يتبعها من أسواق لخدمة هذه المجمعات السكنية التي خصصت لسكن الحجاج والمعتمرين الذين تجاوزت أعدادهم الآن ما يقرب من أربعة ملايين ما بين حاج ومعتمر سنوياً^(٥) . فهذا كله منع نور الشمس عما بقي من

(١) ويبدو أن اختلاف عرض هذا الشارع يعود إلى قرب وبعد الجبال عنه . وهذا يلاحظ عياناً في شارع الغزة الذي يتسع عند السليمانية والجميزة . أما عدم انتظام الشوارع فلا شك أنه عائد إلى تطويق الجبال لها فالطريق تبعاً لذلك تكون ملتوية وغير منتظمة ؛ لأنه في الوديان بين تلك الجبال .

(٢) يعود سبب هذه التسمية ؛ لأنه في القديم كان هناك باب يدخل ويخرج منه مكة .
(٣) (أجياد) سميت بذلك ؛ لأنها جادت بالدماء يوم التقت جرههم وخزاعة . الأزرقى ، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت ٢٥٠ هـ / ٨٦٤ م) . أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار : تحقيق رشدي الصالح ملخص ٠ - ط ٢ - مكة المكرمة : دار الثقافة ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م ، ج ١ ، ص ١٠٣ .

(٤) باشا . مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ١٧٨ - ١٧٩ .

(٥) مصلحة الإحصاءات العامة لعام ١٤٢٦ هـ . وحركة المعتمرين الرسم رقم (١) .

المنازل : علاوة على صعوبة الوصول إليها وعدم وجود مواقف لسياراتهم: لضيق الطرق ، فآثر بعضهم تركها أو بيعها بسبب الإغراءات المالية الضخمة ، فانتقلوا إلى خارج حدود مكة المكرمة القديمة في الأحياء الجديدة .

ومن الأحياء القديمة التي سكنها أهل مكة المكرمة المسفلة الواقعة جنوب المسجد الحرام والغزة وشعب عامر والخريق والقرارة شمال الشامية والسليمانية وطلعة النقا والمنحنى والمعابدة^(١) في شمال المسجد الحرام^(٢).

وقد حدث لهذه الأحياء القريبة من المسجد الحرام ما حدث من هجرة أغلب سكانها إلى الأحياء الجديدة مثل العزيزية والعوالي والرصيفة والخالدية والكعكية والشوقية والسبهاني والنوارية والبحيرات والزاهر والنزهة وأم الجود وبطحاء قريش وغيرها^(٣).

البناء المعماري :

لأهل مكة المكرمة طريقة خاصة في البناء المعماري وكانت سائدة إلى الثمانينيات من القرن الرابع عشر الهجري ، فاستخدموا مواد البناء المتوافرة في البيئة، منها : حجر الشميسي الذي يجلب من منطقة الشميسي خارج حدود مكة المكرمة والحجر الشبيكي الذي يؤخذ من جبل بمحلة الشبيكة بمكة المكرمة يعرف بلونه الأسود مع نقط بيضاء قليلة ، وهو حجر أصم ، بالإضافة إلى النورة التي تصنع محلياً في منطقة النوارية التي أخذت اسمها منها ، وتستعمل ملاطاً بين

(١) (المعابدة) كان يسكنها الأعراب قبل وصول العمران إليها . هور خرونيه ، سنوك . صفحات من تاريخ مكة المكرمة : ترجمة علي عودة الشيوخ : صياغة وتعليق محمد محمود السرياني ومعراج نواب مرزا ، دار الملك عبد العزيز ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م ، ج ١ ، ص ١٠٠ .

(٢) باشا . مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ١٧٩ - ١٨٢ . انظر الرسم رقم (١) لأحياء مكة القديمة نقلاً عن مرآة الحرمين .

(٣) انظر الرسم رقم (٢) نقلاً عن خريطة مكة المكرمة للفارسي لأحياء مكة الحديثة .

الأحجار التي تبني بها الجدران لتثبيتها . ويستخدمون للتسقيف عوارض خشبية تسمى القدد مفرد قدة يوضع فوقها سعف النخيل المنسوج على هيئة حصر يوضع فوقها الرمل المبلل والمخلوط بمقدار من النورة تصب وتكبس ، واستبدل بعد ذلك الجريد والحصر بالخشب عندما أصبح متوافراً بمكة المكرمة^(١) .

أمّا التقسيمات المعمارية للمنازل فضرورة اقتضتها طبيعة الموقع الجغرافي والديني ؛ إذ بنيت بطريقة تعدد المناور والخوارج وهي مساحات داخلية مكشوفة فتقي ساكنيها حرارة الجو وتلطّف منه ما أمكن ؛ فمن ذلك مراعاتهم أن تكون المنازل متقاربة جداً ومتداخلة في أحيان كثيرة ، بحيث تستطيع النساء الانتقال من منزل لآخر دون الحاجة للخروج من باب المنزل^(٢) .

ولا شك أن تقارب المنازل يجنبهم التعرض لحرارة الشمس أثناء تنقلاتهم التي تعتمد أساساً على المشي ؛ إلا في المسافات البعيدة .. عندها يستخدمون المواصلات المتاحة ، مثل : المركبات التي تجرها الحمير أو الخيل وبعدها السيارات التي كانت في بداية أمرها قليلة . وربما كان تقارب المنازل يعود إلى احتياطات أمنية فرضتها الظروف التي مرت بها مكة المكرمة خلال تاريخها الطويل من الاعتداءات والاشتباكات التي كانت تحدث بين جند الشريف والجند المصاحب لركب الحجاج من ناحية، وبين الأعراب وأهل مكة المكرمة من ناحية أخرى^(٣) .

(١) باشا . مرآة الحرمين، ج ١، ص ١٨٤ . سنوك : صفحات من تاريخ مكة المكرمة، ج ٢، ص ٣٤٥ .

رفيع . مكة ، ص ٢١ - ٢٣ . وقد عاينا في منزلنا القديم بالشامية كلا النوعين .

(٢) لقد شاهدت هذا التداخل في البناء عندما كنا نسكن بحي الشامية في عدد كبير من بيوت العائلات هناك قبل أن تهدم وينتقل سكانها إلى الأحياء الجديدة .

(٣) عبد الغني ، عارف . تاريخ أمراء مكة المكرمة من ٨هـ - ١٣٤٤هـ - ط ١ - دمشق : دار البشائر ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م، ص ٨٢٣ على سبيل المثال .

ومما ورد في الكتب التاريخية عن طريقة البناء ، بل وعایشناها . نجد أن المنازل تعددت أدوارها فيما بين الثلاثة والخمسة أدوار ، واقتصرت وجود المنازل الضخمة حول الحرم المكي الشريف وعلى مقربة منه ، علاوة على أن هذه المنازل كانت متينة البناء ليس فيها فناءات داخلية^(١) مليئة بالزخارف والزينات^(٢) . وبقيت هذه المنازل إلى نهاية التسعينات من القرن الرابع عشر الهجري .

فرض الإسلام أموراً روعيت في تصميم المنازل التي تراوحت عدد حجراتها بين السبعة و التسعة ، فبنيت بتقسيمات منفصلة يتعذر معها الاختلاط بين الرجال والنساء ، خاصة وأن المنزل الواحد يضم بين جنابته العائلة بأكملها في أغلب الأحيان ، فتشمل رأس العائلة الجد والجدة وأبناءهم وزوجاتهم وأحفادهم - البنات والأولاد - مما يدلنا على مدى الترابط الأسري القائم بينهم^(٣) .

وبحكم موقع مكة المكرمة الجغرافي نلاحظ أن هناك منازل أنشئت في أرض مستوية في الوديان والشعاب ، ومنازل بنيت على الجبال وفي أحضانها ، وبالتالي اختلفت مساحات تقسيماتها الداخلية تبعاً لذلك ؛ لصعوبة تكسير الجبال ، وما عدا ذلك نجد أن نمط البناء المعماري ومسمياته موحدة مع قليل من الإضافات التي تعبر عن رغبات فردية للملاك ، لذا احتوت المنازل المكية على :

(١) وهذا عائد بالدرجة الأولى إلى حرارة الجو وقلة الماء التي لا تساعد على الزراعة لتلطيف الجو بالمرزوعات ، وإن كان هناك زراعة قليلة في خوارج وأسطحة بعض المنازل في مراكز (مخصصة للزراعة) تحتوي على الرياحين وبعض الأزهار ، وقد كنا نقوم بزراعة مثل هذه المرزوعات في سطح منزلنا القديم . انظر الرسم رقم (٢) نقلاً عن كتاب : مكة منذ مئة عام . و يمثل منظرًا لما كانت عليه المنازل من الخارج .

(٢) باشا : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ١٨٤ : رفيع . مكة ، ص ٢١ .

(٣) لقد كنا نعيش في مثل هذه المنازل التي كانت تضم جميع أفراد العائلة .

- الدهليز : مدخل المنزل والطبقة الأولى منه ، ومقر استقبال الزائرين العابرين ، فهو مجهز لذلك ، فأرضه إما أن تفرش بالرمال أو تغطى بالطباطاب^(١) ، على حسب المستوى الاقتصادي لصاحب المنزل ، ويوضع به كرسي أو اثنان مصنوعان من الخشب والشريط سعف النخل المجدول كالتى توجد في المقاهي قديماً . وبجانب الدهليز تبني غرفة أو عدة غرف تسمى المقاعد أعدت لاستقبال أقرباء الأسرة من الرجال ، وأحياناً تستخدم كمخزن لحفظ الأمتعة الزائدة ، أو البضائع إذا كان صاحب المنزل تاجراً . وهذه المقاعد روعي في بنائها أن تكون في مستوى أعلى من الدهليز تحرزاً من دخول الماء إليها عند هطول الأمطار^(٢) . وفي منازل الأثرياء تظهر الفخامة في الدهليز ، إذ يفرش القسم الخلفي منه بالسجاد ، وتوضع على جوانب الحائط مقاعد خشبية تسمى الكرويت مفردها كرويتة وتكسى بالفرش والمساند ، ويجوار المقعد ينشأ حمام وكان يسمى بيت الماء أو بيت الطهارة ، يزود بيزير يستخدم مأؤه للوضوء والطهارة - أو تبني حنفيات للماء في الجدار وتملاً بالماء من قبل السقاء الذي يمر يومياً على المنازل لتزويدها بالماء يحمله في قرية أو تنكة تسمى زفة^(٣) ، ومن مستلزمات الحمام أيضاً إبريق لوضع

- (١) الطباطاب : وطريقة عمله هو أن يخلط الحصاص بالنورة والبطحاء ويفرش ثم يدق بمطارق خاصة إلى أن يتماسك ثم يملس بآلة مخصوصة ويسوى سطحه تسوية معتدلة إذا كان في الغرف . أما إذا كان في الأسطح فيكون مع ميل لجهة الميزاب لتسرب ما يجتمع من ماء المطر أو أثناء غسله . رفيع . مكة ، ص ٢٢ ، هامش (٢) وقد عاينا الطباطاب في منزلنا سواء في الدهليز أو في الغرف والسطح . ومنذ أن وعينا على الدنيا لم يتجدد إلى أن انتقلنا إلى منزل آخر قبل ٢٥ سنة ، مما يدل على شدة إتقان عمله .
- (٢) كان بمنزلنا مقعد في الدهليز مرتفع عنه بما يزيد على المتر ، يسبقه دكة حجرية ، فقد كان منزلنا مبنياً على تدرج في أول جبل هندي .
- (٣) انظر الرسم رقم (٤) - (٥) .

الماء ومغراف للمنه . علاوة على مرحاض مرتفع عن الأرض بمقدار ١٠ - ١٥ سم لقضاء الحاجة^(١) .

- **غرف التخزين** : وإذا صعدنا إلى الدور الثاني عبر درج حجرية مطبطة جيداً - وهي في نعومتها تماثل الرخام والسيراميك الآن - نصل إلى غرفة أو اثنتين صغيرتين للتخزين^(٢).

- **المجلس** : وتفضي الدرج إلى غرفة للجلوس تسمى المجلس تشرف على الطريق . لها عدة نوافذ تسمى طاقات ويتوسط هذه الطاقات روشن ذو بروز للخارج يتسع لجلوس ما بين أربعة إلى ستة أشخاص .. والروشان مرتفع عن أرض المجلس بمقدار نصف متر .. وهذه الطاقات والرواشين مغلقة بشبابيك خشبية لها فتحات عريضة تسمى القلابات أو الكبريتة ويمكن رؤية الخارج من خلالها ، في حين لا يمكن رؤية من بالداخل ، وتفرش الرواشين بالمفارش والمخدات ويفرش باقي المجلس بالكرويت الذي يكسى بوسائد لينة من القطن تفرش عليها سجادة وتوضع المساند المحشوة بالطرف^(٣) .

(١) سنوك . صفحات ، ج ٢ ، ص ٣٤٦ - ٣٤٧ . وما ورد وصفه عايشناه ولا يزال في بعض بيوت مكة المكرمة الآن إذ يوجد نموذج هذا المرحاض بتحسينات مثل وجود الماء في الصنابير التي تزود بالماء عبر مواسير مؤسسة في الجدار . كما أن المرحاض مساو لأرضية الحمام ويسمى هذا النموذج الحمام العربي . وفي المنزل المكي القديم ما لا يقل عن ثلاثة أو أربعة حمامات في المنزل المتوسط وتوزيعها يكون كالآتي : واحد بجوار المقعد الواقع في الدهليز وآخر بالقرب من المجلس وثالث في المؤخرة ورابع في سطح المنزل بجوار المبيت .

(٢) المرجع السابق والجزء ، ص ٢٤٨ ، ويجب ملاحظة أن المنازل الكبيرة تحتوي على عدد من المقاعد وغرف التخزين .

(٣) **الطرف** : نوع من أنواع الشجر . ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ / ١٣١١م) . **لسان العرب** - بيروت : دار صادر ، د . ت ، ج ٩ ، ص ٢٢٠ . وهو غير القطن خفيف الوزن .

وتكسى مقدمتها بقماش حريري مشجر متين وغالباً ما يكون لونه أحمر وأحسن أنواعها يسمى الدمسك، ويوضع فوق المساند قماش من الشراك الأبيض المشغول أشبه بالدانتيل تسمى البياضات، ويفرش الكرويت بقماش من نفس المساند وتحلى أعلاها بشریط حريري من نفس اللون تتدلى منه كتل تسمى السجاني وتفرش أرض المجلس إما بالسجاد الفارسي أو التركي أو بالحنابل أو الحصر^(١). وهذه المفروشات على حسب مستوى العائلة الاقتصادي، ويخصص المجلس عادة لاستقبال النساء .

- المخلوان : غرفة صغيرة ملحقة بالمجلس توضع بها فرش المجلس الزائدة .
- الصفة : وتعرف اليوم بالمرات وهي من مكونات المنزل المكي .
- الديوان : عبارة عن إيوان واسع ومفتوح يسبق المجلس في الصعود ؛ لأنه مخصص لاستقبال الرجال الكبار وبجواره مقعد آخر يخصص للشباب الأصغر سناً ويفرش الديوان بمثل فرش المجلس ويخدم بمنافع مثل الغرف الصغيرة حوله بالإضافة إلى وجود حمام بجواره^(٢) .

- المؤخر : غرفة تسمى المؤخر ، وتُعرف في وقتنا الحاضر بغرفة المعيشة ، ففيها تقضي الأسرة معظم وقتها، وبها نافذة كبيرة وأثاثها أقل مستوى من أثاث المجلس والديوان ، وتفرش أرضها بالحنابل الهندية المخططة، ويدار على جدرانها المساند وبعض المخدات ، وبهذه الغرفة توضع آنية الشاي والقهوة ، وهي عبارة عن سموار لغلي الماء وبعض أحجام من براريد الشاي وإناء لصنع القهوة الذي يسمى

(١) سنوك . صفحات ، ج ١ ، ص ٣٤٩ - ٣٥٠ . مغربي ، محمد علي . ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة - ط ١ - جدة : الكتاب العربي السعودي ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م : ص ١٤٠ .

(٢) سنوك . صفحات ، ج ٢ ، ص ٣٤٦ . المغربي . ملامح ، ص ١٣ . وفي بعض المنازل الآن تبني غرفة بعيدة عن باقي غرف المنزل وتسمى الديوانية وأيضاً الغرض منها استقبال الرجال .

كولندي، وبعض فناجيل الشاي (أبو أذن والمسكوفي) المصنوعة من الزجاج المتين وله يد صغيرة ليمسك بها الشارب ، وتحلى حافته بزيق مذهب .. وبراريد الشاي تكون من الصيني فهو أحسن أنواعها . وفي هذه الغرفة تتناول الأسرة طعامها الذي يوضع في تبسي كبير من النحاس أو التوتوه وتفرش تحته سفرة على أرض الغرفة وتتعلق حولها الأسرة . وتستخدم هذه الغرفة للنوم في الشتاء ، إذ تفرش بالمراتب القطنية أو اللحف . وإذا كان عدد أفراد الأسرة كبيراً نام الزوج والزوجة في المجلس وتركت المؤخر للأولاد . أما في الصيف فينام الجميع في السطح^(١) .

- **الخزانة** : وتقع بين المجلس والمؤخر ، وهي عبارة عن غرفة تخدم للمجلس وحفظ الملابس الغالية والمهمة للأسرة .. ويبدو أنها أخذت اسمها : لأنها المكان الأمين الذي يخزن فيه الأشياء الغالية والمهمة ، إذ يوضع كل نوع من الملابس في بقشة مستقلة : وهي عبارة عن قطعة مربعة من الحرير مشغولة الأطراف .. وتوضع هذه البقش في صندوق من خشب السيسم بالنسبة للأسر الثرية ، أما المتوسطة الحال فتوضع في صندوق يسمى سحارة وهو من الخشب أيضاً مطعم بالنحاس ، وتحفظ في هذه الغرفة المجوهرات الثمينة في درج يصنع خصيصاً في هذه الصناديق.

وتحفظ في هذه الغرفة أيضاً الأطعمة كالمربيات والأجبان والزيتون والمخللات^(٢). وهذه الغرفة تخلو عادة من النوافذ فهي داخلية ، لذا تعتبر من الأماكن الآمنة .

- **المطبخ** : يسمى أيضاً المركب : لأن فيه يركب و يصنع الطعام . يقع في أعلى البيت فيكون بذلك بعيداً عن المجلس والديوان : وبذلك لا تصل روائح الطعام

(١) المغربي . ملامح ، ص ١٦ .

(٢) سنوك . صفحات ، ج ٢ ، ص ٣٥٠ : المغربي . ملامح ، ص ١٨ .

وأصوات النساء إلى مسامع الرجال والضيوف .. وبطبيعة الحال يحتوي المطبخ على جميع مستلزمات الطبخ من القدور والصواني والصحون والتباسي والملاعق وكوانين (مواقد) الطبخ^(١) . وبجوار المطبخ عادة يكون مخزن صغير لخزن المواد الغذائية كالسمن والدقيق والأرز .

- المبيت : يقع أمام المطبخ وتحتفظ فيه الأسرة بالمراتب والمخدات واللحف التي تفرش في سطح المنزل أيام الحر^(٢) . وهذا السطح مقسم بفواصل جدارية جزء لنوم الأولاد وجزء لنوم البنات وآخر للزوج والزوجة وجزء للخدم^(٣) .

- الخارجة : هي أماكن مكشوفة السقف وتعتبر فناءات داخلية مطبوبة ، تستخدم من قبل النساء ، ففيها يتم غسل الملابس ونشرها . ويجلس فيها أفراد العائلة بعد الغروب لتناول طعام العشاء ، خاصة في ليالي الصيف^(٤) .

- الطيرمة : أعلى سطح في المنزل .

الإضاءة في المنزل :

استخدم المكيون أنواعاً متعددة لإضاءة منازلهم قبل تأسيس شركة الكهرباء بمكة المكرمة عام ١٣٤٠هـ / ١٩٢١م، فقد استخدموا (الشموع) (وقناديل الزيت)، وهي قديمة واستبدلت بـ (اللمبة) وهي عبارة عن إناء من التلك يصنع محلياً وله فتحة صغيرة يسكب فيها الكاز ويدلى فيها فتيل من القماش يشعل أعلاه وهي مخصصة لإنارة السلالم وبيوت الماء ، ويراعى وضعها في أماكن لا يصلها تيار

(١) المغربي . ملامح ، ص ١٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٨ - ١٩ .

(٣) وبهذا لا يكون هناك اختلاط وقت النوم أيضاً ، وكان سطح منزلنا مقسماً بهذه الكيفية .

(٤) سنوك . صفحات، ج ٢، ص ٣٤٨ . وكان منزلنا يحتوي على خارجتين وكل هذه التقسيمات السابقة .

الهواء الذي يطفئها . وعيب هذه اللمبات أنها تخلف هباباً أسود من جراء احتراق الفتيل .

- **الفانوس الهندي** : أكثر أماناً ، فهو عبارة عن فانوس يوضع في أسفله الكاز ، ثم يقفل عليه بسدادة معدنية ويحيط بالفانوس زجاج سميك بداخله الفتيل وترفع الفتيلة وتخضع وتطفأ بواسطة آلة خاصة . وللفانوس يد مستديرة في أعلاه ليحمل منها . ولهذا الفانوس أحجام متعددة . وهذا النوع من الإضاءة من أرخص الأنواع ، وهي لا تزال تباع إلى الآن في الأسواق ليس للاستعمال ولكن كنوع من المحافظة على التراث .

- **القمرية** : مصباح مصنوع من النحاس الأصفر أو الأبيض له قاعدة مستطيلة ، والمصباح على شكل نصف دائرة وبها فتيل . والقمرية لها شكل موحد طولها نحو ٣٠ سم وبداخلها آلة صغيرة إسطوانية الشكل تملأ بزئبق ولا تعمل إلا به . كما أنها لا تنطفئ من الهواء وليس لها زجاج في أعلاها ولكن لها صوت يشبه الأزيز عندما تعمل . ويبدو أنها أخذت اسمها من ضوئها الأبيض الشبيه بضوء القمر .

- **الإتريك** : يشتعل بالكاز وله فتيل خاص منسوجة كالكيس الصغير ، ونوره أبيض قوي . وهذه الأتاريك علي نوعين : نوع يعلق في السقف ونوع آخر له قاعدة ، حيث يوضع على الأرض أو على شيء مرتفع^(١) . ويحلى بالخزر عند الأسر الغنية .

(١) الكردي ، محمد طاهر . التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم - ط ١ - بيروت ، لبنان : دار خضر ، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م ، ج ٥ ، ص ٨ ، ١٤ ، ١٩ . المغربي . ملامح ، ص ١٨٢-١٨٥ . ونحن شاهدنا استخدام الفانوس والإتريك كلا النوعين الأول كنا نراه يعلق في الأزقة للإضاءة ليلاً والآخر كان يوجد في منزلنا ولدى جيراننا وأقاربنا ومعارفنا ، فقد كانوا يحرسون على اقتنائها بسبب كثرة انقطاع التيار الكهربائي في فترة الثمانينات من القرن السابق إلى أن استقر استمرار التيار الكهربائي في أوائل التسعينات .

الهاء بمكة المكرمة :

قبل وصول العين العزيزية ومياه التحلية ، كان المصدر الذي يمدّها بالمياه ، عين زبيدة؛ تصلها عبر قنوات بنيت بالحجارة و تنظف باستمرار؛ لضمان تدفق الماء إليها الذي يجمع في خزانات أو بازانات^(١) كبيرة منها واحد بالمعلاة وآخر بالمسعى وثالث بالمسقلة .. ومن هذه بازان كان بالشامية ينقل منه الماء للبيوت بواسطة أشخاص يطلق عليهم مسمى السقا ، إذ يحمل على ظهره قربة جلدية تملأ بالماء ، أو على ظهر الدواب مثل الحمير ، وهناك من يحمل الماء في تنك ، حيث يحمل تنكتين يجمع بينهما عصا غليظة تتدلى من كل طرف منها سلسلة لربط التنكة وتسمى هاتان التنكتان مجتمعتين (الزفة) . وهؤلاء الأشخاص يتكفلون بإيصال الماء للمنازل ، وخاصة التي في أعلى الجبال لصعوبة صعود الحمير إليها .. وقد عم مشروع مجاري المياه في المواسير لجميع أحياء مكة المكرمة^(٢) . بفضل الله تعالى ثم بفضل تكفل حكومة المملكة العربية السعودية لهذه المشروعات التي عم نفعها السكان والحجاج ولم يعد الآن بمكة من يستقي بهذه الطريقة ، إذ وصلت المياه إلى

(١) بازان : ذكر رفيع أنها تنسب للأمير بازان الذي عمرها في عهد الخليفة المستنصر العباسي عام ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م ، ولكن ابن كثير المعاصر لهذا الحدث يقول : عمرت بمكة عين تعرف قديماً بعين باذان . أما الفاسي فيظن أن عين شاش الموجودة بين عرفات وجبال الطائف هي باذان والتي أجريت منذ عهد هارون الرشيد الخليفة العباسي والتي صرفت عليها زوجته زبيدة وأطلقت على جميع العيون التي أوصلتها إلى مكة عين زبيدة . انظر: ابن كثير ، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (ت ٧٤٤هـ/١٣٧٢م) . البداية والنهاية ٥٠ - ط٤ - مكتبة المعارف ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م . ج١٤ ، ص١٢٣ . الفاسي . شفاء الغرام . ج١ ، ص٥٥٣-٥٥٤ . رفيع . مكة ، ص٦٧ .

(٢) الكردي . التاريخ القويم ، ج٥ ، ص٨٣-٨٤ . رفيع . مكة ، ص ٦٣ - ٦٩ .

المنازل . ومن لم يصلها تحصل عليه بواسطة الوايتات التي تحمله إما من مياه التحلية أو من مياه الآبار العذبة .

النظافة بمكة المكرمة :

كان يتولى النظافة في أحياء مكة جميع أفراد المجتمع ، ففي الأزقة كان أصحاب المنازل ينظف كل منهم أمام منزله . أما الشوارع العامة ، فكان هناك أشخاص يقومون بتنظيفها وأخذ أجر على ذلك من متولي أمر مكة في ذلك الوقت . أما القمام المنزلية ، فكانت لا تخرج من المنازل إلا في أوقات محددة ، إذ يمر الكناسة وجامعو القمام عليهم فيعطونها لهم للتخلص منها بعيداً عن مكة وكانت تحمل في أكياس كبيرة فوق ظهر الحمير^(١) .

وفي الوقت الحاضر وزعت البلدية براميل كبيرة على الشوارع والأحياء ويتم إخراج القمام إليها وبذلك تتكدس في الشوارع إلى حين مرور سيارات جمع القمام . وأصبحت عملية النظافة تتولاها شركة تستخدم لها آلاف الأشخاص ؛ لكنس الشوارع وتنظيفها . وأصبح السكان لا يبالون من حيث قيامهم بالنظافة لعلمهم بوجود من يتولى ذلك عنهم .

أنواع الملابس :

ملابس الرجال :

اشتهر أهل مكة المكرمة لمدة طويلة بأنواع معينة من الملابس سواء منها للرجال أو النساء ، لم يغيروها ؛ إلا بعد منتصف القرن الرابع عشر الهجري ، بسبب

(١) ابن فهد ، جار الله محمد بن عبد العزيز، (ت ٩٤٥هـ / ١٥٤٧م) . كتاب نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الوري : تحقيق محمد الحبيب الهيلة - ط ١ - ٠٠ مكة والمدينة : مؤسسة الفرقان، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م . ج ١ ، ص ٣٨-٣٩ ، ١٩٤ . كورتلمون، جيل جرافيه . رحلتي إلى مكة : ترجمة محمد أحمد حناش - ط ١ - ٠٠ مؤسسة التراث ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م ، ص ٩١ .

الانفتاح على العالم ، حيث رأى الشباب في ذلك الوقت أن الالتزام بهذه النوعية من الملابس لا يواكب العصر الذي يعيشونه ولا يشبه ما يلبسه أقرانهم في الأقطار العربية والإسلامية الأخرى ، فتركوا هذه الملابس شيئاً فشيئاً - وإن كانت هذه الملابس تعطي لابسها وقاراً وهيبة - واكتفوا بلبس الثياب التي وصفت بالنظافة والبياض منذ القدم^(١) التي يلبسها الرجال الآن مع الفتر و المشالغ أحياناً التي يلبسونها في المناسبات المهمة والأعياد. أما في أعمالهم وأثناء زياراتهم فيلبسون بالإضافة إلى الثياب والفتر البنطلونات والقمصان التي انتشرت هذه الأيام بين الكبار والصغار.

كما لبسوا على رؤوسهم العمام ، ولبس الرجال إلى منتصف القرن الرابع عشر الهجري الثياب المصنوعة من الكتان والبفتة البيضاء : وهي أنواع من الأقمشة قبل أن تورد على البلاد أنواع الأقمشة الأخرى - فيلبسون أولاً :

- العراقية : تلبس من الأعلى وسميت بذلك؛ لأنها تمتص العرق وهي تشبه الفانيلا إلا أنها من قماش خفيف جداً من الشاش. ويلبس في الجزء الأسفل سروال طويل مطرز من عند القدمين ويربط في الوسط بدكة - استخدم بدلاً عنها الآن المطاط ، ويلبس فوق هذه الملابس الداخلية الشاية : وهي مفتوحة من الأمام وتربط بحزام لقفلها من الوسط ويلبسون فوقها الجبة ويلبسون على رؤوسهم (العمامة الحجازية الألفية).

ولبس بعضهم بعد الربع الأول من القرن الرابع عشر الهجري العباءة - المشلح والعقال القصب الذي كان يصنع محلياً^(٢) واستبدل بعد ذلك بالعقال

(١) ابن بطوطة . الرحلة ، ص ١٥١ - ١٥٢ .

(٢) وكان الوالد أطل الله في عمره ممن كان يصنعه إلى نهاية الثمانينات من القرن الرابع الهجري .

الأسود الشطافة والمصنوع من الخيوط السوداء التي كانت تصنع محلياً^(١) وهذا العقال أصبح يلبسه عامة الناس وخاصتهم .

ولبسوا أيضاً **الباطو** الذي يعرف بالدقلة ؛ والآن عادت هذه الملابس للظهور ولكن في المناسبات مثل الزواج والأعياد لبعض الناس .

واستخدم رجال مكة المكرمة وشيوخها نوعاً من الأحذية الجلدية عند تنقلاتهم تم صنعها محلياً ، أما الشباب فقد استخدموا في تنقلاتهم الجزم^(٢) . التي تصنع محلياً ؛ والآن تلبس الأحذية المصنوعة محلياً والتي يطلق عليها المداس الشرقي وكذلك المستورد الذي عم الآن سواءً من الجزم أو المدس .

ملابس النساء :

السروال : لبسته النساء في المنزل وهو واسع من الأعلى ويضيق عند القدمين و لوسعه يربط بدكة من الأعلى ، وهي عبارة عن قطعة قماش طويلة .

الصدرية : وهي تشبه البلوزة في وقتنا الحاضر ولا تتعدى أكمامها المرفقين، فيكن بذلك أكثر راحة عند قيامهن بأعمال البيت . كما اعتدن تغطية رؤوسهن بقماش يسمى **المحرمة** .

أما إذا أردن الخروج لبسن صدرية من قماش ثمين مطرزة من الرقبة والأكمام إذ يقمن بتطريزها بأنفسهن ، وتحلى بأزاريير من الذهب والألماس . ويلبسن سروالاً من قماش غالي ، ويلبسن فوق ذلك الفستان الكرتة وهو طويل ، ويفصل بطريقة تظهر فيه ياقة الصدرية المحلاة بالأزاريير ، ويضعن على رؤوسهن **المحرمة**

(١) فأحد أعمامي أمد الله في عمره من الذين قاموا بصنعه إلى أن طغى الاستيراد من الخارج فتوقف عن ذلك .

(٢) مغربي . ملامح ، ص ٨٧ - ٩٨ . رفيع . مكة ، ص ٢٣ - ٢٦ .

بالإضافة إلى قطعة قماش محلاة تسمى شمبر ويلبسن فوقها المدورة . ويتسترن غاية التستر عند الخروج وذلك بارتدائهن الملاية والبرقع ثم تطور إلى الملاية التركي ثم الكاب ثم إلى العباءة الحالية .. والآن بالإضافة إلى العباءة الحالية أصبحن يرتدين البالطو .. ويلبسن خفاً من الجلد عليه نعل^(١) - وقد أدركت جدتي رحمها الله تلبس ذلك ، وقد تغير كل ذلك الآن وأصبحن يلبسن الفساتين ذات الموديلات الأوروبية ، بل وجميع الملابس الأوروبية بسبب الانفتاح على العالم وتأثير وسائل الإعلام المرئية والمقروءة ، وكذلك السفر إلى الخارج وما يجلب من ملابس جاهزة من الخارج من قبل التجار ولكن وجد الآن بعض النساء من يلبسن الأزياء القديمة للمحافظة عليه ؛ لكونه تراثاً لا يجب أن يندثر^(٢) .

أنواع الأطعمة :

تحدثت النصوص التاريخية عن الأنواع المتعددة من الأطعمة التي اشتهر بها أهل مكة المكرمة ، منها ما وصل إلينا أسماؤها فقط مثل الحموية ، المامونية ، الجرجانية ، الرزان ، السكب^(٣) . ولم يعرف على وجه التقريب مم تتكون ؟ ويرجح أن تكون من الأطعمة الفاخرة ؛ لأنها ذكرت ضمن أطعمة الولاثم والأفراح . وهناك

(١) رفيع . مكة ، ص ١٤ - ٦٤ . مغربي . ملامح ، ص ١٠١ - ١٠٧ .

(٢) ولا يوجد على حد علمي هذا التصميم في ملابس نساء مكة المكرمة في غيرها من مدن المملكة العربية السعودية ؛ إذ أن كل منطقة من مناطقها اشتهرت بنوع معين من الملابس لا يوجد في غيرها .

(٣) ابن فهد ، العز عبد العزيز (ت ٩٢٢هـ / ١٥١٦م) . بلوغ القرى في ذيل إتحاف الوري بأخبار أم القرى ؛ دراسة وتحقيق عبد الرحمن بن حسين بن عبد الرحمن أبو الخيور ، رسالة ماجستير لم تشر - مقدمة لجامعة أم القرى - كلية الشريعة ، ج ١ ، ق ٢ ، من سنة ٩١٠ - ٩٢٢هـ / ١٥٠٤م - ١٥١٦م ؛ ابن فهد . نيل المنى ، ج ١ ، ص ٦٥ .

أطعمة ورد ذكرها قديماً ولا تزال موجودة إلى الآن مثل المبشور ، الهريسة ، لحمة الرأس المشوي^(١) - رأس المندي - والمقدام ، شربة الحب - حب الدشيشة -^(٢).

أطعمة الفطور :

تتكون وجبة الإفطار عند أغلب سكان مكة المكرمة من الفول المدمس الذي يعتبر وجبة أساسية في الإفطار ، والمعصوب الذي يتكون من فطائر البر وفاكهة الموز والسمن البلدي والسكر، واللقيمات المصنوعة من الدقيق والماء وقليل من الخميرة وبعد أن تخمر تقلى في الزيت على شكل دوائر وتغمس بعد ذلك في الشيرة التي تتكون من السكر المذاب بالماء المغلي مع إضافة ماء الورد لإضفاء المذاق الطيب عليه . أما القشطة واللبن الزبادي والحليب والبيض فكان يأكله الميسورون مالياً .

أطعمة العشاء :

تناولوا المطبق وهو نوع من الفطائر المحشوة باللحم المفروم والبيض .. وكان الفول من أطعمة العشاء أيضاً، والمقلية وهي أقراص صغيرة تصنع من نوع من أنواع العدس وتقلى في الزيت . والشعيرية وهي نوع من المكرونة تقلى بقليل من الزيت ويضاف عليها الماء الحار والسكر وقليل من الهيل وقد يضاف عليها أحياناً الحليب بعد سكبها في الصحن .

-
- (١) القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م) . آثار البلاد في أخبار العباد - بيروت : دار صادر ، د.ت ، ص ١١٨ - ١١٩ . والهريسة ذكرها العياشي عندما كان مجاوراً بالحرمين في القرن الحادي عشر الهجري . العياشي ، أبو سالم عبد الله (ت ١٠٩٠هـ / ١٦٧٩م) . المدينة المنورة في رحلة العياشي : دراسة وتحقيق محمد أمحزون - ط ١ - ٠ الكويت : دار الأرقم ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م . ص ١٧١ .
- (٢) باشا . مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ١٨٥ ، ج ٢ ، ص ٢٠٩ . الكردي . التاريخ القويم ، ج ٣ ، ص ٢١٢ .

أطعمة الغداء :

كانت الخضروات الموسمية بأنواعها المختلفة الورقية منها أو الدرنية أو المثمرة من أهم العناصر التي تدخل في وجبة الغداء، بالإضافة إلى أنواع الأطعمة التي يكون فيها اللحم العنصر الأساس ، وأخرى لا يعرف على وجه الدقة متى بدأ أهل مكة المكرمة في تناولها مثل: الكشري المكون من الأرز والعدس والمكرونة ، الرز العدس، الرز بالحمص، مرقة الهوا المصنوعة من الفول الأخضر المسلوق بماء كثير يوضع عليه الفلفل الأسود المطحون، عيش باللحم وهو عجين مخبوز فوقه لحم مفروم وقليل من الطحينة والكرات، والبف والسنبوسك في رمضان . واعتادوا في الولائم والأفراح تناول الكوزي ، المندي ، السليق ، جميع أنواع المشويات، المبشور ، السلات ، المعرق ، المختوم ، المقلقل ، السقط^(١) .

وبعد أن كثر الاختلاط بين أهل مكة المكرمة والشعوب الإسلامية الأخرى ، أخذوا عنهم الكثير من أكلاتهم وأضافوا إليها ، بحيث أن من يأكل نفس الطعام بمكة ويأكله في بلد المنشأ يرى الاختلاف في الطعم ، فمن ذلك الرز البخاري والرز الزربيان والمنتو والفرموزة والكسكو^(٢) .

أما الحلويات فأهمها الطرمبة ، الدببازة ، الزلابية ، المعمول ، المشبك ، الحلاوة التركي، الهريسة الحلوة ، المفروكة ، اللبنة ، اللدو ، الخشاف ، الالماسية ، المهلبية ، السمسمية، الجبنية ، الكنافة^(٣) .

(١) مغربي . ملامح ، ص ٢١٩ - ٢٢٦ . رفيع . مكة ، ص ٤٧ - ٥٨ .

(٢) رفيع . مكة ، ص ١٥ . مغربي . ملامح ، ص ٢٢١-٢٢٣ .

(٣) مغربي . ملامح ، ص ٢٢٧-٢٣٣ . رفيع . مكة ، ص ٥٩ - ٦١ .

طرق التداوي :

قبل أن تنتشر المستشفيات ويكثر الأطباء والطبيبات ، وتظهر الكثير من الأدوية الناجعة في معالجة الأمراض ، اكتفى أهل مكة المكرمة بالتداوي بالوصفات الشعبية القائمة على الأعشاب الطبية على أيدي أناس مارسوا الطب بالخبرة . فبعض البدو برعوا في تجبير الكسور ومعالجة بعض الأمراض بالكي . أما الحلاق المزين : فغالباً ما كان يقوم بمعالجة الحمى والجروح وبعض أمراض العين كالرمد وبعض حالات ماء العين ، وإجراء عمليات الختان للصبيان فهو طبيب تحت مسمى مزين .

أما النساء، فكانت الداية أو القابلة وهي متخصصة بمعالجة كل ما يتصل بأمراض النساء^(١) ، بالإضافة إلى ما توارث من النساء الكبيرات في علاج ما يصيب الأطفال من بعض الأمراض كالحصبة وجذري الماء .. وبعد توحيد المملكة العربية السعودية على يد المغفور له بإذن الله الملك عبدالعزيز أنشئت المستشفيات الحكومية في مكة المكرمة ، فكان مستشفى أجياد بأجياد ومستشفى الملك عبدالعزيز بالزاهر، ومستشفى الملك فيصل بالششة . وتعددت المستشفيات بكافة التخصصات مثل النساء والولادة والصحة النفسية والعصبية : علاوة على وجود مراكز الصحة العامة للرعاية الأولية قبل تحويل الحالات الصعبة إلى المستشفيات التخصصية مثل: النور وحراء والتي تعد استمراراً لاهتمام الدولة بكل ما يتعلق بالصحة العامة . وساندت المستشفيات الحكومية الكثير من المستشفيات الخاصة والمستوصفات والعيادات والكثير من الصيدليات ، فهذا كله يواكب التوسع العمراني والازدياد السكاني في الوقت الحاضر .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٥٩ ، ١٦٤ .

الصيدلة : لم تكن مهنة الصيدلة موجودة بمفهومها الحالي ، وإنما كانت قائمة على التداوي بالأعشاب في أماكن عرفت باسم حوانيت العطار ، إذ تخصص أشخاص ترجع أصولهم إلى الهند فقد دأبوا على جلب الأعشاب من هناك لبيعها ؛ إما على هيئتها أو مزج أنواع منها مع بعضها حسب نوع المرض^(١) فكانوا بذلك صيادلة وأطباء في آن واحد ، ولا زالت مهنة العطار إلى اليوم .

الأعمال المعاشية لأهل مكة المكرمة :

أخذ الكثير من عوائل مكة المكرمة لقبهم من الأعمال التي كانوا يزاولونها مثل : النجار والخباز والحلواني والبناء والحداد وغيرها .. ولا تزال هذه الأسماء إلى اليوم .
أولاً التجارة :

بما أن مكة المكرمة في واد غير ذي زرع، وبما أن ثمرات كل شيء تُجَبى إليها؛ فطبيعي أن يمتحن أهلها التجارة ، وهذا ليس حديثاً ولكن منذ القدم وذلك مؤكد في سورة قريش . فأهل مكة يعتمدون في تجارتهم على الاستيراد لسد حاجة السكان أولاً ومن ثم التصدير سواء من قبلهم أو من وفود الحجاج التي تحمل ما يوجد بها إلى أوطانهم . وتشمل التجارة كل أصنافها من مواد غذائية أو استهلاكية أو كمالية . ففيها كل غريب وطريف كما ذكر بعض الرحالة^(٢) . وكانت الأسواق تتركز حول الحرم المكي . أما الآن وبسبب التوسع العمراني أصبحت هناك أسواق كثيرة سواء في العزيزية أو الرصيفة أو كدي أو العتيبة أو شارع الستين وغيرها . وتحتوي على كافة مطالب السكان .

(١) رفيع . مكة ، ص ٧٢٢ - ٢٣٠ .

(٢) ابن جبير . الرحلة ، ص ١٥٧ .

ثانيا الصناعة :

لابد من الإشارة إلى أنه وجد بمكة المكرمة الكثير من المهن والأعمال الحرفية التي لم يأنف أهلها من القيام بها وخاصة التي تناسب بيئتهم وحياتهم ، وعليه ظهرت الصناعات اليدوية الأساسية البسيطة ، والتي كان لكل منها رئيس هو الذي يفض المنازعات ويعاقب المسيء ويوافق على انضمام أعضاء جدد بعد التأكد من إتقانه لهذه المهنة^(١) . وهو ما يعرف اليوم بمسمى رئيس النقابة . فمن ذلك :

النجارة :

ظهر خلال القرن الرابع عشر الهجري أشخاص برعوا في مهنة النجارة ، فكان هناك متخصصون في تسقيف المنازل ونقش بواطنها بالزخارف، وفي صناعة الدكاك والكرويت - الذي استبدل الآن بالكنب - كما برع فريق منهم في صناعة ونقش الشبابيك والرواشين والأبواب التي تعد من التحف الفنية الرائعة لما بها من الزخارف النحتية^(٢) . وكان يطلق مسمى النقاش على من يقوم بالزخرفة والنقش، وقد كان النجار يتقن النجارة والنحت وفن الديكور في آن واحد . ولا يعني هذا أنه لم يعد للنجارة وجود بمكة ، إذ يوجد في وقتنا الحاضر الكثير من ورش النجارة في المناطق الصناعية التي يعمل بها الوافدون . أما أهل مكة فاكثفوا بامتلاكها رسمياً فقط بدون المساهمة في أعمال النجارة فعلياً .

التنجيد :

قبل أن تنتشر صناعة الإسفنج وتصل إلى ما وصلت إليه ودخولها في أثاث المنزل المكي، علاوة على استيراد الأثاث من الخارج بكميات وفيرة وأسعار معتدلة،

(١) كورتلumon . رحلتي ، ص ٧٧ ، ٨٠-٨١ ، ٨٥ .

(٢) الكردي . التاريخ القويم ، ج ٢ ، ص ١٥٠ - ١٥١ .

كانت مهنة التجديد من الحرف التي زاولها بعض سكان مكة المكرمة وبرعوا فيها .
كان القطن من أساسيات أثاث المنزل المكي، إذ جلب من الهند ، مصر، اليمن،
ويتولى تنظيفه وتجهيزه أشخاص أطلق عليهم اسم المنجدين ، وكانوا يقومون بعملهم
هذا إما في محلاتهم أو ينتقلون بأدواتهم إلى المنزل المراد تجديد أثاثه وقد شاهدت
كلا الطريقتين ولم يبق من يزاول هذه المهنة إلا فئة قليلة وعلى نطاق ضيق ؛ إذ حلت
الماكينات الكهربائية محل عمال التجديد وأصبح من النادر تأثيث المنازل بالقطن ؛
بسبب منافسة مراتب الإسفنج والسست سواء منها المستورد من الخارج أو المصنع محلياً .
أما المساند وبعض الطواويل المراتب والأرائك فيتم حشوها بالطرف وهو
عبارة عن حبوب صغيرة كالبرغل خفيفة الوزن جداً وتجنّى من بعض أشجار الحجاز
وهي ميزة لأهل مكة ، فهذه الأشجار لا توجد إلا في الحجاز^(١) .

الحصر والزناويل والمراوح :

اختص بعمل هذه الأدوات بعض الوافدين من شرق أفريقيا الذين يطلق عليهم أهل
مكة المكرمة اسم التكارنة ، حيث استمر العمل بهذه المهنة خلال القرن الرابع عشر
الهجري وكان حكرًا على هذه الفئة^(٢) . وما زالوا يمتهنونها حتى وقتنا الحاضر،
ونجد أن كل منتج صناعي بمكة كان يلبي حاجة أهلها فليس كل أهلها يتمتعون
بالثراء، فالحصر المصنوعة من الخصف - سعف النخل كانت تلبي حاجة الفقراء
في فرش أرضية منازلهم، أما القفف^(٣) - القضة - والزناويل - الزنبيل^(٤) فكان

(١) المرجع السابق والجزء ، ص ١٥١ - ١٥٢ .

(٢) الكردي . التاريخ القويم ، ج ٢ ، ص ١٥٢ .

(٣) انظر الرسم رقم (٧) يمثل الزنبيل ؛ نقلاً عن كتاب : مكة منذ مئة عام .

(٤) انظر الرسم رقم (٦) يمثل القفة ؛ نقلاً عن كتاب : مكة منذ مئة عام .

الكل يستخدمونها لحفظ الطعام ولوضع الحاجيات التي يتم شراؤها من السوق ، إذ كان لكل بيت زنبيل يسمى زنبيل المقاضي منه ذو الحجم الكبير وذو الحجم الصغير، فإذا أراد رب الأسرة شراء مستلزمات المنزل الغذائية أخذه معه ، ويحمله عند عودة رب الأسرة شخص يسمى **الحمال** من صغار السن الذين يتواجدون هم وغيرهم دائماً في الأسواق ويقومون بعملهم هذا لقاء أجر بسيط . وهو أمر قديم إذ شاهده ابن بطوطة في القرن الثامن الهجري وقال : إنهم من الأيتام^(١) . وبهذا يسدون خدمة وفي الوقت نفسه يكفون أنفسهم فلا يكونون عالة على المجتمع .

وقد انتفت الحاجة في الوقت الحاضر للزناويل، حيث حلت محلها أكياس البلاستيك الخفيفة الوزن التي يحملها العاملون في المجمعات الغذائية الكبرى وتوضع مباشرة في السيارة .. أما القفة فبمجرد انتشار الثلاثات استغنى الناس بمكة عنها ؛ لأنها كانت تقوم مقامها في حفظ الأطعمة . بينما المراوح أصبحت اليوم للزينة أو كنوع من المحافظة على التراث . ففي السابق كان لابد من وجودها لعدم وجود الكهرباء . فكان كل شخص يحملها ليلطف الجو حوله ويعتني بها غاية الاعتناء من حيث تزيينها ووضعها بعد الاستعمال في حافظة من القماش مشغولة بطريقة جميلة وتعلق على الحائط .

الفخار :

عرف أهل مكة صناعة الفخار منذ القدم، فالأواني الفخارية منها ما هو كبير الحجم نسبياً ويسمى **الزير** ويستعمل لحفظ الماء اليومي ، ولتبريده صيفاً عند الاستحمام ، ولا زالت بعض الأسر تحرص على اقتنائه لهذا الغرض . كما يصنع بحجم أكبر ويستخدم لعمل أكلة المندي في المطابخ الخارجية .

(١) ابن بطوطة . الرحلة ، ص ١٢٧ .

أما الشراب والقلل والدوارق^(١) فقصر استعمالها على تبريد ماء الشرب ، ومنها الصغير والكبير ، وهي تصنع من طين وتراب مكة ويعنى بصناعتها وزخرفتها بأشكال جميلة ويكمل زينتها غطاؤها النحاسي المخروطي الشكل والرافعة الحديدية التي توضع عليها الشراب ، وتسمى المرفع الذي يدهن بألوان زاهية وتبخر هذه الشراب بالمستكة حتى تعطي طعماً جميلاً للماء أو الزمزم الذي تملء به ، وكانت الدوارق منتشرة بالمسجد الحرام ومعبة بالزمزم لشرب رواد المسجد الحرام، وقد شاهدها ابن جبير وقت مجاورته ووصفها^(٢). ولا تصنع في الحاضر لهذا الغرض وإنما للزينة أو لمحبي المحافظة على التراث الذين يحبون اقتناءها في منازلهم .

الحلوى :

شهد ابن جبير لأهل مكة بإتقانهم لصناعتها التي لم ير مثيلاً لها ، والتي تصنع من السكر المعقود مع إضافة الفواكه الطازجة والمجففة ، فقد وصفها ولكنه لم يعدد أسماءها^(٣) . وما يوجد اليوم من الحلويات المكية المشهورة : اللدو، المفروكة، الهريسة الحلوة ، اللبنة ، المعجونية ، المشبك التي تصنع من الدقيق والحليب والسكر بنسب وطريقة معينة . أما الطحينية فيدخل في مكوناتها الطحينية .. بينما السمسامية تعتمد على السمس والسكر في عملها وغيرها من الحلويات^(٤) وكان أشهر صناعاتها من ذوي الأصول الهندية .

(١) انظر الرسم رقم (٨) يمثل الشراب والقلل والدوارق ؛ نقلاً عن كتاب : مكة منذ مئة عام .

(٢) ابن جبير . الرحلة ، ص ٦٦ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٩٨ .

(٤) الكردي . التاريخ القويم ، ج ٢ ، ص ١٣٥ .

طحن الحبوب واستخراج الزيوت :

استخدمت الرحى في السابق في المنازل لطحن الحبوب ، وبعدها انتقلت إلى أماكن خاصة لها تسمى المطاحن يتم فيها طحن الدخن والذرة والحمص ، القمح ، السمسم الذي يعصر ويستخرج منه زيت السمسم^(١) ، وكانت هذه المطاحن إما تدار بالقوة البشرية أو باستخدام الحيوانات ، ويوجد الآن الكثير من المطاحن ومعاصر الزيت وخاصة زيت السمسم وعمل الطحينة البلدي ، ولكنها تدار بالآلات الكهربائية، مثل الموجودة في محلة التيسير وريع أبو لهب وغيرها من الأماكن.

الأفران :

أشار ابن بطوطة إلى كثرة الأفران بمكة : لأن أهلها يعجنونها بمنازلهم ويرسلونها لتخبز في هذه الأفران^(٢) فهم لا يتناولون إلا خبز منازلهم ونادراً ما يشترونه جاهزاً من السوق .. وفي الوقت الحاضر لم يعد لخبز المنازل وجود وأصبح الجميع يعتمد على الجاهز منه والمنتشر بشكل كبير لتلبية احتياج العدد السكاني الكثيف من ناحية ولخروج المرأة للعمل من ناحية أخرى ، فلا يوجد وقت كافٍ تقضيه في المنزل لمثل هذه الأعمال .

وقد تطورت الأفران وأصبحت تستخدم الكهرباء أو الغاز وقوداً^(٣) . كما تعددت أنواع الخبز بشكل مذهل. وقد اشتهرت عوائل بمكة المكرمة أخذت اسمها من هذه المهنة مثل : عائلة الفران التي لا تزال تحمل هذا الاسم إلى الآن ، وكذلك عائلة الكعكي التي لديها أحدث الأجهزة الكهربائية للخبز .

(١) المرجع السابق والجزء والصفحة .

(٢) ابن بطوطة . الرحلة ، ص ١٢٧ .

(٣) الكردي . التاريخ القويم ، ج ٢ ، ص ١٥٤ - ١٥٥ .

القدور والأواني النحاسية:

اعتمد أهل مكة على الفخار الذي يبدو أنه في طريقه إلى الزوال ؛ إلا من قلة تستعمله ، كما استعملوا الصيني والنحاس لأوانيهم المنزلية . ومهنة النحاس قديمة بها ، إذ صنعوا القدور بكافة أحجامها والتباسي والأباريق^(١)، وتخصص أناس لهم محلات معروفة في تبييضه ، ويسمى القائم بذلك مبيض النحاس إذ اعتادوا إرسال هذه الأواني كلما خبا لونها لإعادة البريق لها مرة أخرى مقابل أجر معلوم . وتسمت بعض العوائل التي عملت بهذه المهنة بالنحاس نسبة لهذه المهنة .

البناء :

أتقن البنّاءون بمكة مهنة البناء على أكمل وجه بالتمرين والممارسة العملية لا بالتعليم في الجامعات ، فمنهم البنّاءون الحذاق والمهندسون المهرة^(٢) . والشاهد على ذلك المنازل المتعددة الأدوار التي أقيمت في الوادي وعلى الجبال بمتانة شديدة، لم يبق منها إلا أقل القليل لكنه غير صالح للسكن لانعدام الترميم لها .

ألف البناء مع الحجار فريق عمل أثمر عن مبان شهدت على إتقانهم فالحجارون لهم مهارة عجيبة في نحت الأحجار الصماء لتناسب وضع البناء المراد إقامته ، فمنها الملساء والخشنة والمستديرة والمربعة والأسطوانية والمخروطية والطويلة والقصيرة والغليظة والرفيعة والمنقوشة والمزخرفة والسادة^(٣) . وهذه المهنة اندثرت تقريباً .

(١) المرجع السابق والجزء ، ص ١٥٥ .

(٢) المرجع السابق والجزء ، ص ٢٤٥ . ولا يزال اسم عائلة البنا إلى الآن؛ فهم من العوائل التي مارست هذه المهنة .

(٣) المرجع السابق والجزء ، ص ٣٥٠ .

المنور :

عمل في هذه المهنة أشخاص أطلق عليهم لقب المنور ولا يزال حتى وقتنا الحاضر عائلة بمكة المكرمة تحمل هذا اللقب نسبة لعملها القديم .
وقد استخدم أهل مكة ما توافر في بيئتهم من تراب وحجارة ونورة ، التي كانت تستخدم مثل الأسمنت الآن، فيقدر ما يزداد من النورة في البناء تكون البيوت أقوى وأشد ومناجم النورة بمكة كثيرة جداً في شمالها بحي النوارية^(١) ، إذ أخذ حي النوارية اسمه منها .

المرخم :

الرخام أو النورة البلدي وهو غير الرخام الذي يستخدم للتبليط ، فقد دهنوا رخموا منازلهم به بدلاً من البوية ، فرخموا منازلهم من الداخل والخارج ، وهناك أناس تخصصوا في هذه المهنة أطلق عليهم اسم المرخم، فالنورة توجد بكثرة في مكة بحي النوارية^(٢) .

الآجور ومراكن الزرع :

وكما بنى أهل مكة بيوتهم بالحجارة استخدموا الآجور أيضاً الذي يصنع من تراب مكة منذ القدم ، إذ يوضع في قوالب خاصة يوقد عليه الحطب حتى يحترق ويصبح أكثر صلابة فيبنى به بعد ذلك المنازل، وكذلك عملوا مراكن للزرع توضع في المنازل لزراعة أنواع الرياحين والنجرس وملكة الليل والبفتة وغيرها من الأزهار^(٣) .

(١) الكردي . التاريخ القويم ، ج ٢ ، ص ٣٥٠ .

(٢) المرجع السابق والجزء ، ص ٣٥١ .

(٣) المرجع السابق والجزء ، ص ٣٥٢ .

السبح والمجسمات الصغيرة :

وجد بمكة الكثير من المصانع الصغيرة التي يطلق عليها مسمى الورش؛ فمنها ما تخصص في عمل السبح من جميع أنواع الخامات من أخشاب ذات رائحة عطرة، وكذلك اليسر واللؤلؤ والأحجار الكريمة ونوى التمر ويبيعونها على الحجاج^(١).

أما المجسمات الصغيرة التي تمثل المسجد الحرام والمشاعر المقدسة التي عملت بإتقان وفن أيضاً تباع على الحجاج^(٢). وللأسف كلا المهنتين اندثرت وما يوجد الآن بالأسواق مستورد من الخارج وأصبح مواد السبح البلاستيك والكهرمان والأحجار الكريمة واليسر واللؤلؤ ونوى التمر والخشب ذو الرائحة العطرة وكذلك المجسمات تستورد من الخارج وتباع بأسعار رخيصة ، فلو وفق أصحاب رؤوس الأموال في إنشاء مثل هذه المصانع بمكة وتعود بذلك مهنة أصيلة لأهلها وموطنها .

الحدادة :

صنع الحدادون المجاريف والآلات الزراعية البسيطة التي يحتاجها المجتمع في ذلك الوقت ، كما صنعوا منافخ الكير ومرافع الشراب ، والآن اقتصرت ورش الحدادة على الأبواب والشبابيك والسياج - الدربزينات - ^(٣) واحتكرها الوافدون ولم يعد لأهل مكة في هذه المهنة إلا الاسم الذي يوضع على الورش وليس له مساهمة عملية .

(١) رفيع . مكة ، ص ١٤١ - ١٤٢ .

(٢) بتس ، جوزيف . رحلة الحاج يوسف إلى مصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة: ترجمة ودراسة عبد الرحمن عبد الله الشيخ -٠ الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٥م ، ص ٦٤ : كورتلumon . رحلتي ، ص ٨٨-٨٩ .

(٣) رفيع . مكة ، ص ١٤٥ - ١٤٦ .

الصياغة والتطعيم بالجواهر :

الصياغة بمكة وجدت منذ القدم ولا زالت موجودة إلى الآن ، بل وتحسنت بسبب وجود الآلات الدقيقة^(١) .

الخيطة :

من المهن التي سادت في ذلك الوقت خياطة الجيب والشايات والصداري وكلها ثياب ندر لبسها الآن^(٢) وما يوجد من خياطين الآن هم الوافدون الذين سيطروا على مهنة الخياطة، بالإضافة إلى وجود مصانع لصنع الثياب الجاهزة حسب المقاس .

الجزارة :

إلى وقت قريب كان هناك جزارون مكيون^(٣) ولكن الآن اقتصررت على الوافدين الذين سيطروا على معظم المهن .

الطبخة :

هذه المهنة لا زال بعض المكيين يمارسونها إما مباشرة أو بإشراف منهم على الوافدين الذي يعملون في مطابخهم^(٤) . وربما تزول هذه المهنة كما زال غيرها ويسيطر عليها الوافدون أيضاً .

السمانة :

كان لهذه المهنة رواج كبير، إذ تخصص أناس ببيع السمن والعسل لاعتماد أهل مكة كثيراً على هاتين السلعتين ولا زالت هذه المهنة تمارس بشكل محدود^(٥) . بعد أن انتشرت

(١) رفيع . مكة ، ص ١٤٦ - ١٥٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٤٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٤٧ .

(٤) المرجع السابق والصفحة .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٤٧ .

الزيوت النباتية التي تأتي من الخارج وبأسعار رخيصة، وكذلك انتشار العسل المعبأ في الخارج وبيع بشكل كبير وبأسعار زهيدة ، ولكن بقي البعض يفضل أكل السمن البلدي في بعض الأكلات وكذلك العسل الذي يجمع من قبل أشخاص لهم مناحل برية كما في السابق.

اللبانة :

من المهن التي زالت تقريباً ولم يعد لها ذكر^(١) ، بعد أن عمت مزارع تربية الأبقار في المملكة التي يوزع إنتاجها في عبوات على جميع أنحاء البلاد وليس مكة فحسب، بالإضافة إلى ما تدفق على البلاد من عبوات الحليب المجفف .

العطرجية :

شهد ابن بطوطة بطيب الروائح العطرية وتنوعها بمكة^(٢). فهذه المهنة قديمة ولا زالت في أيدي المكيين^(٣) ، وإن دخل معهم بعض الوافدين كمنافسين لهم، وقد تطورت هذه المهنة كثيراً وتوسعت لرغبة المكيين والقادمين عليها في هذه العطور ، إضافة إلى ورود نوادر العطور كهدايا للكعبة المشرفة ، فهذا لا شك سبب آخر في وجود العطرجية الذين لديهم معامل صغيرة لتقطير العطور واستخلاصها وخلط بعضها ببعض ليخرجوا بروائح جديدة .

العطارون :

راجت مهنة العطار بمكة لاعتماد أهلها على المعالجة بالعقاقير الطبية النباتية علاوة على البهارات المتنوعة^(٤)، التي ولع أهل مكة بها، واستمرت هذه المهنة إلى اليوم ، فمعظم موادها من الهند ، إذ تخصص فيها أناس ذوو أصول هندية.

(١) رفيع . مكة ، ص ١٥٢ .

(٢) ابن بطوطة . الرحلة ، ص ١٥١ .

(٣) رفيع . مكة ، ص ١٥٦ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٥٧ .

الحلاقة :

لا يستغني عن هذه المهنة التي كانت من ضمن المهن التي زاولها المكيون^(١) ، وقد شاهد العياشي حلاقين مكين كانوا ينتقلون إلى منى للحلاقة للحجاج في القرن الحادي عشر الهجري^(٢) . أما الآن فقد انتقلت هذه المهنة كغيرها من أيدي المكين إلى الوافدين .

الكتيبة :

من المهن القديمة والأصيلة بمكة وقد تركزت أماكنهم في محلات بالمسعى وداخل المسجد الحرام^(٣) ، فقد كانت الكتب متوافرة بمكة في كل عام ، فقد كان طلاب العلم إذا عجزوا عن وجود كتاب رغبوا به في أنحاء العالم الإسلامي كلفوا من يبحثون لهم عنه بمكة^(٤) ، إذ تأتيها الكتب من جميع أنحاء العالم الإسلامي ومنها تنتقل إلى غيرها من الأقطار ، وكان القادمون على مكة أيام موسم الحج

(١) المرجع السابق والصفحة .

(٢) العياشي ، أبو سالم عبد الله (١٠٩٠ هـ / ١٦٧٩ م) . ماء الموائد : مخطوطة بالخزانة الحمزاوية . رقم ١٨٢ ، المغرب . ص ١٥٦ .

(٣) العياشي . ماء الموائد ، ص ٢٩٣ ، ٢٩٦ . الدرعي ، أحمد بن محمد بن ناصر (ت ١١٢٨ هـ / ١٧١٥ م) . الرحلة الناصرية ، الطبعة الحجرية ، ج ٢ ، ص ٥٣ ، ١٧٩ . أبو سليمان : عبد الوهاب ابن إبراهيم . العلماء والأدباء والوراقون في الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري - ط ١ - نادي الطوائف الأدبي ، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م . ص ٤٢ . ولمزيد من المعلومات انظر : كامل المؤلف .

(٤) الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) . معجم المؤلفين - ط ٣ - دار الفكر ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ، ج ١٦ ، ص ١٠٢ . الفناي ، عبد الرحمن بن أبي القاسم الشاوي المزمري (كان حياً عام ١١٤١ هـ / ١٧٢٨ م) . رحلة القاصدين ورغبة الزائرين : مخطوطة بالمكتبة الملكية بالرباط ، رقم (٥٦٥٦) ، ص ٧ .

ينتهزون هذه الفرصة لاقتناء الكتب التي لا توجد بأوطانهم بالشراء، مهما غلت أثمانها ، فقد حكى الدرعي أنه اشترى كتباً نادرة وجدها بمكة^(١) .

المطوفون والزمازمة :

مهنة المطوفين والزمازمة بدأت على ما يبدو عندما قسم قصي أمور مكة بين أبنائه ومنها الرفادة والسقاية^(٢) . وهي بالتالي من المهن القديمة التي تطورت وتهدف إلى خدمة الحاج وتوفير سبل الراحة له ؛ لذا هي من المهن الرسمية التي اقتصرت على أهل مكة أو الذين أتوا إليها من سنوات طويلة وأصبحوا مكين بحكم العيش بها .

وكان الحاج في السابق يتولون أمر أنفسهم من حيث تدبير السكن لهم في منازل أهل مكة بالإيجار أو بنصب الخيام لهم خارجها^(٣) .

وربما أطلق لقب المطوف للطواف حول الكعبة المشرفة ؛ فقد ذكر ابن رشيد في رحلته في القرن السابع الهجري أن بالحرم المكي أشخاصاً مهمتهم الطواف بالحجاج وتلقيهم الأدعية المناسبة في ذلك الموقف^(٤) . كما كان سدنة البيت المشرف يقومون بمساعدة الحاج على الطواف مقابل أجر يأخذونه كما ذكر

(١) الدرعي ، ابن عبد السلام (ت ١٢٣٩هـ / ١٨٢٣م) . ملخص رحلتي ابن عبد السلام الدرعي المغربي ؛ عرض وتلخيص حمد الجاسر - ط ٢ - دار الرفاعي ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م . ص ١٤٠ - ١٤٤ .

(٢) الأزرقى . أخبار مكة ، ج ١ ، ص ١٠٩ - ١١٠ .

(٣) ابن جبير . الرحلة ، ص ٦٦ .

(٤) ابن رشيد ، أبو عبدالله محمد بن عمر (٧٢١هـ / ١٣٢١م) . ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيعة إلى الحرمين مكة وطيبة ؛ تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة - ط ١ - بيروت - لبنان : دار الغرب الإسلامية ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، ج ٥ ، ص ٨٠ ، ١٢٩ .

التجبيي عندما حج عام ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م^(١) فهذه أولى الإشارات لمهنة الطوافة وليس كما ذكر عنقاوي أن أول إشارة وردت لدى النهروالي عام ٨٨٤هـ / ١٤٧٩م . عندما حج أحد الأمراء المماليك و كان لا يجيد العربية، فتقدم أحد علماء مكة للطواف به وتلقينه الأدعية المناسبة^(٢).

كانت مهمة السهر على راحة الحجاج منذ خروجهم من أوطانهم وحتى عودتهم بما في ذلك أثناء وجودهم بمكة ؛ تقع على عاتق أمراء الحج ، إذ يحتوي ركب الحج على قاضٍ وإمام والوعاظ والعلماء الذين يتولون أمر تعريف القادمين معهم أمور الحج، بل والفتوى لهم^(٣) .

ولعل السبب الرئيس لوجود مهنة الطوافة وجود طائفة من الوافدين الذين أقاموا بمكة من شتى أنحاء العالم الإسلامي واحتفظوا بلغتهم الأم مع إتقانهم للعربية فكانوا يلجؤون إليهم بسبب سهولة التفاهم ، وبمرور الزمن اتسعت الخدمات المقدسة لقاء أجر يأخذونه فأصبحوا يستقبلونهم في ميناء جدة إن كانوا قادمين بجرأً، بل تعدى الأمر إلى ذهاب المطوف إلى البلد الإسلامي الذي يعود أصله إليه لجمع أكبر عدد من الحجاج كنوع من الدعاية ، كما ظهر في الوقت نفسه على ما يبدو تخصص مطوفين لجنسيات معينة مثل الجاوي والفارسي والتركي والمغربي وغيرهم . فالمطوف هو الذي يستقبل الحجاج القادمين ويضيفهم ويرشدهم في طوافهم وسعيهم، أي هو الذي يعينهم على أداء أمور دينهم وأداء مناسك حجهم وديناهم ...

(١) التجبيي . مستفاد الرحلة ، ص ٢٦٤ .

(٢) عنقاوي ، فؤاد عبد الحميد . مكة - الحج والطوافة - ط ١ - بيروت : دار خضر ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م، ص ٢٧٨ .

(٣) ابن بطوطة . الرحلة ، ص ١٨ .

وعليه أن يؤمن لهم الراحة والطمأنينة من ساعة قدومهم إلى حين مغادرتهم الأراضي المقدسة^(١) .

ولا تزال مهنة الطوافه قائمة إلى اليوم ولكن انضوى جميع المطوفين الآن تحت مؤسسات الطوافه التي تهدف إلى التحسين والرفع من مستوى خدمة حجاج بيت الله الحرام ، فأصبحت أكثر تنظيماً وتحت إشراف وزارة الحج، بل وجميع أجهزة ومؤسسات الدولة .

ومما يلحق بمهنة الطوافه السقاية - سقاية زمزم - وكانت مهمتهم سقي الحجاج بماء زمزم في أوعية يعدونها تسمى الدواق وهي قديمة ولها شكل مخروطي مميز وكان المسجد الحرام قبل أن تتوافر وسائل التبريد الحديثة مليئاً بها، وقد شاهدها ابن جبير في القرن السابع الهجري^(٢) .

وهذه الطائفة لها رئيس ومعاونون ؛ مهمتهم سقاية الحاج وإيصال ماء زمزم له، حيثما كان داخل مكة المكرمة . أما الآن فأصبحت هي أيضاً مؤسسة قائمة بذاتها وأصبح الحاج يهدى ماء زمزم في أوعية بلاستيكية يوصلونها إلى مقر إقامته بمكة وعند مغادرته أيضاً^(٣) .

الخاتمة :

وهكذا يمكن القول: إن ما وجد بمكة المكرمة من قوام حضاري مكتمل الأركان ومنظم بشكل دقيق يدعو إلى الإعجاب، كيف لا وهي مهوى أفئدة جميع المسلمين ومحط أنظارهم ، فكل ما هو حضاري أخذ أهلها بطرف منه ، خاصة وأنها ضمت خليطاً

(١) عنقاوي. مكة - الحج والطوافه ، ص٢٨٨، وللمزيد من المعلومات الرجوع إلى كامل المؤلف .

(٢) ابن جبير ، الرحلة ، ص ٦٦ .

(٣) عبيد ، فيصل محمد . زمزم والنزاهة - دار القبلة للثقافة الإسلامية ، ١٤١٥هـ . ص١٤٠

ولمزيد من التفاصيل انظر : كامل المؤلف .

من الجنسيات الإسلامية التي قدمت إليها بثقافاتها ومعارفها ، فطبقت بها ما يوافق المجتمع والبيئة المكية. علاوة على أن هذا الخليط لم يكن بأعداد كبيرة بحيث تستطيع فرض ثقافته على المكيين كما هو حاصل اليوم، ولكن أعدادهم مناسبة بحيث أنهم اندمجوا مع المكيين وأصبحوا جزءاً منهم، بعكس ما يوجد اليوم من وافدين بأعداد كبيرة جداً لم يهضمهم المجتمع المكي فاستطاعوا الاحتفاظ بمورثاتهم الثقافية يعيشون في أحياء خاصة بهم ولم يندمجوا بالمكيين كما فعل أسلافهم .

فأهل مكة حافظوا على نمط حضاري مئات السنين ، ولكن تغير هذا كله لأسباب منها :

- ١- الانفتاح الذي يسري في العالم أجمع سريان النار في الهشيم .
- ٢- وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة التي دخلت كل بيت .
- ٣- سهولة المواصلات وسرعتها حيث أصبح الشخص يتناول غداءه في بلد وعشاءه في بلد آخر .
- ٤- وفود المسلمين التي أصبحت تندفق على مكة المكرمة بمئات الآلاف وتبقى بها لفترات طويلة بعد أن كانوا لا يمكثون إلا أياماً معدودة أو شهراً قليلاً لكي لا يزاحموا أهلها على أرزاقهم ولضييق مكة العمراني وقلة الماء ، فحملوا معهم أنماط عيشهم وثقافتهم الحسن والقبيح ، ولكثرتهم طغت أنماط عيشهم وثقافتهم الحضارية على السكان الأصليين .
- ٥- المشروعات الضخمة التي أقيمت بمكة المكرمة وحول الحرم المكي ، مما أدى إلى تخلي أهلها عن مساكنهم القديمة التي أصبحت لا تلبي حاجات الحياة العصرية لصعوبة العيش بها ، بعد أن انعدم ضوء الشمس والهواء عنها ، فاضطروا إلى بيع أملاكهم بسبب الإغراءات المالية الضخمة فخرجوا للسكن في الأحياء

الجديدة ، بعد أن كان المنزل يضم العائلة بأكملها، تفرق أفراد الأسرة الواحدة وتباعدت بينهم المسافات وقلت الاتصالات والارتباطات العائلية لانشغالهم بتدبير أمور معيشتهم التي أصبحت أصعب وأكثر كلفة ، بعد أن كان الأب يورث مهنته لأبنائه ، أصبحوا يعملون في الدوائر الحكومية بعد افتتاح الكثير من المدارس والمعاهد والجامعات وتلقيهم تعليماً عالياً لا يتناسب مع ما كان سائداً في السابق.

٦- دخول الآلات الكهربائية في كل المهن التي حافظ على تعاطيها أهل مكة بأساليبها القديمة التي لا تواكب مثيلاتها بالآلات الحديثة، مما أدى إلى اندثار بعضها وتطور غيرها بشكل كبير لتوفر السيولة المالية لإنشاء المصانع الكبيرة التي تغطي أسواق البلاد وليس مكة فحسب .

٧- توافر الماء بمكة الذي كان العقبة الأساسية في محدودية عدد السكان بسبب محطات تحلية مياه البحر وإصلاح مجاري مياه العيون القديمة بالإمكانات الحديثة .

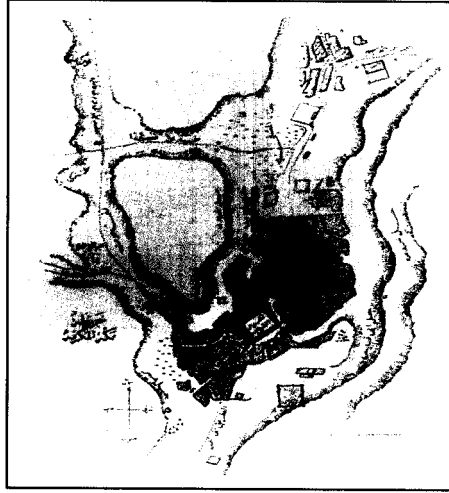
فهذه كلها بعض الأسباب التي أدت إلى تغير النمط الحضاري بأكمله بمكة .

ولنا رجاء نرفعه إلى أصحاب رؤوس الأموال في الوقت الحاضر أن يقيموا المصانع التي يعمل بها أهلها في الصناعات التي عرفت بها سابقاً مثل السبح وسجاجيد الصلاة والمجسمات للمنشآت الدينية بها، بدلاً من استيرادها من الخارج وبهذا يعود لمكة بعد نشاطها الصناعي بطريقة حديثة .

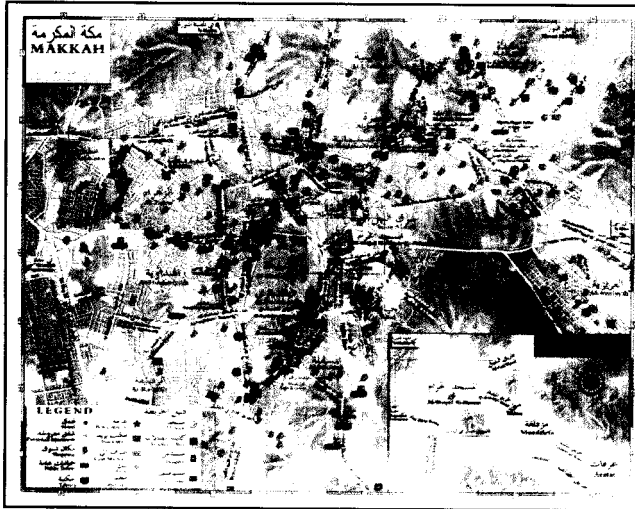
وأخيراً نجد أنه كان بمكة كل مقومات المدينة الحضارية بالرغم من محدوديات السيولة المالية ، ولكنها حافظت على ما بها وتطورت بشكل يناسب وضعها .

والآن أصبحت مكة لا تختلف عن أي مدينة عصرية بسبب المشروعات الضخمة التي تقام بها بحيث يصعب على من عاش في أواخر القرن السابق تصديق ما حدث فيها من تغيرات حضارية .

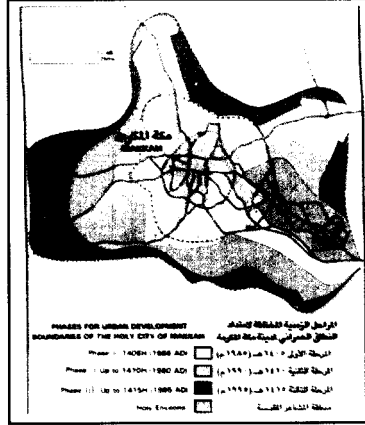
الملاحق



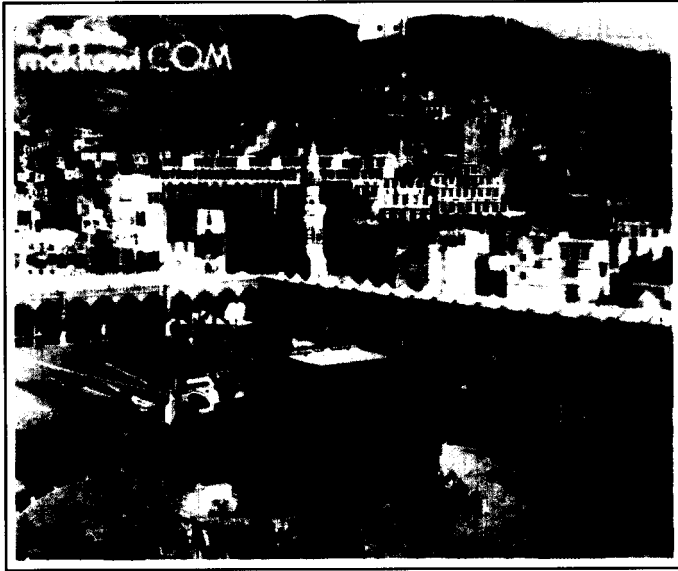
الرسم رقم (١) يوضح أحياء وشوارع مكة المكرمة القديمة
نقلًا عن كتاب مرآة الحرمين



الرسم رقم (٢) نقلًا عن خريطة مكة المكرمة للفارسي



رسم يوضح التوسع عن المنطقة المركزية حول الحرم بمكة المكرمة
نقلًا عن خارطة الفارسي.



الرسم رقم (٢) نقلًا عن كتاب مكة منذ مئة عام ويمثل منظرًا لما كانت
عليه المنازل من الخارج بأدوارها المتعددة .



رسم توضيحي يبين طريقة إيصال
الماء إلى المنازل على ظهور الحمير
وبالقربة والزفة

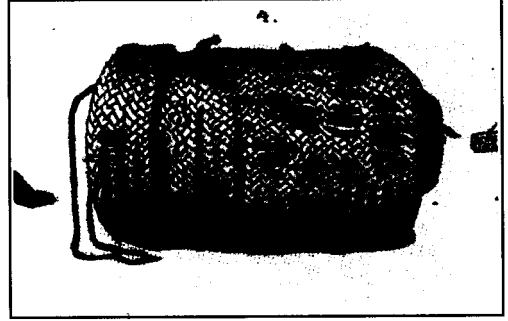
الرسم رقم (٤) سقاء يستقي بالزفة
وهي نقل تنكتين من الماء



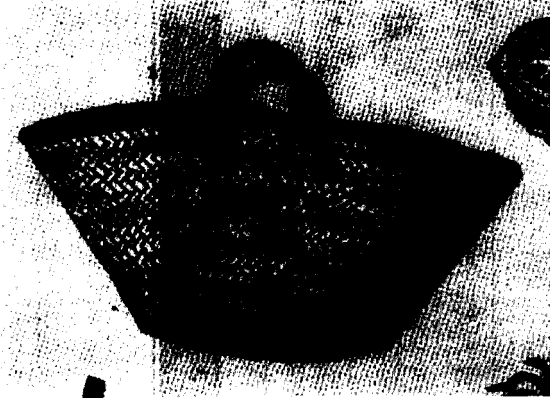
الرسم رقم (٥) سقاء يحمل قربة من الماء



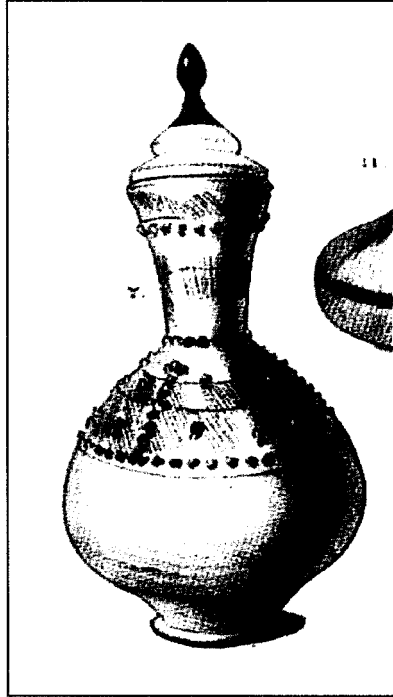
رسم يوضح القلة



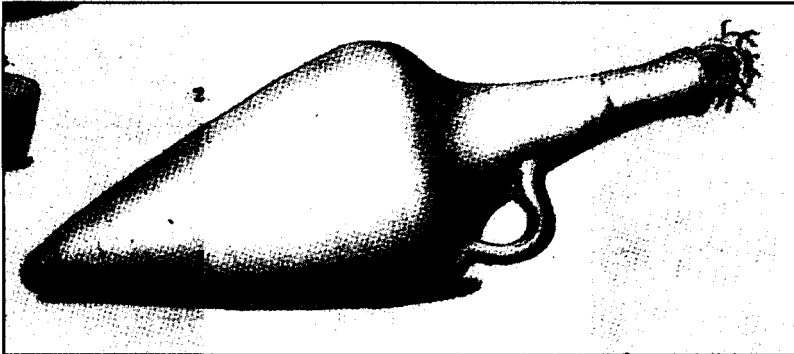
الرسم رقم (٦) يمثل القفة نقلاً عن
كتاب مكة منذ مئة عام



الرسم رقم (٧) يمثل الزنبيل نقلاً عن كتاب مكة منذ مئة عام



الرسم رقم (٨) يمثل الشرية



رسم يوضح الدورق

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .

أولاً : المخطوطات :

- العياشي، أبو سالم عبد الله (ت ١٠٩٠هـ/١٦٧٩م) . ماء الموائد : مخطوطة بالخزانة الحمزاوية ، رقم ١٨٢ / المغرب .

- الغنامي، عبد الرحمن بن أبي القاسم الشاوي المزمزي (كان حياً عام ١١٤١هـ / ١٧٢٨م) . رحلة القاصدين ورغبة الزائرين: مخطوطة بالمكتبة الملكية بالرباط، رقم (٥٦٥٦) .

ثانياً : المصادر :

- الأزرقى ، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت ٢٥٠هـ/٨٦٤م) . أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ؛ تحقيق رشدي الصالح ملحق ٠ - ط ٢ - مكة المكرمة : دار الثقافة ، ١٣٨٩هـ/١٩٧٨م .

- باشا ، إبراهيم رفعت . مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية محلاة بمئات الصور الشمسية ٠ - بيروت : دار المعرفة ، د.ت .

- ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم (ت ٧٧٩هـ/١٣٣٧م) . تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (رحلة ابن بطوطة) ٠ - بيروت : دار بيروت ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

- البلوي ، خالد بن عيسى (ت ٧٨٠هـ/١٣٨٧م) . تاج المشرق في تحلية علماء المشرق؛ تحقيق ومقدمة الحسن السائح، د.ت .

- التجيبي، القاسم بن يوسف (ت ٧٣٠هـ / ١٣٢٩م) . مستفاد الرحلة والاغتراب؛ تحقيق عبد الحفيظ منصور ٠ - ليبيا - تونس: الدار العربية للكتاب، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .

- ابن جبیر ، أبو الحسن محمد بن أحمد (ت ٦١٤هـ / ١٢١٧م) . تذكرة بالأخبار عن اتفاق الأسفار (رحلة ابن جبیر) -٠ بيروت : دار صادر، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
- الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) . معجم المؤلفين -٠ ط ٣ -٠ دار الفكر، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
- الدرعي ، أحمد بن محمد بن ناصر (ت ١١٢٨هـ / ١٧١٥م) . الرحلة الناصرية .. الطبعة الحجرية.
- الدرعي، ابن عبد السلام (ت ١٢٣٩هـ / ١٨٢٣م) . ملخص رحلتي ابن عبد السلام الدرعي المغربي ؛ عرض وتلخيص حمد الجاسر -٠ ط ٢ -٠ دار الرفاعي ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- ابن دقماق ، إبراهيم بن محمد بن أيدير العلالي (٨٠٩هـ / ١٤٠٦م) . الجوهر الثمين في سير الملوك والسلطين ؛ تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي -٠ ط ١ -٠ عالم الكتب ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- ابن رشيد، أبو عبد الله محمد بن عمر (ت ٧٢١هـ / ١٣٢١م) . ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيية إلى الحرمين مكة وطيبة؛ تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة -٠ ط ١ -٠ بيروت - لبنان: دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
- العياشي، أبو سالم عبد الله (ت ١٠٩٠هـ / ١٦٧٩م) . المدينة المنورة في رحلة العياشي؛ دراسة وتحقيق محمد أمحزون -٠ ط ١ -٠ الكويت : دار الأرقم، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
- العبدري ، أبو عبد الله محمد (كان حياً سنة ٦٨٨هـ / ١٢٨٩م) . الرحلة المغربية؛ تحقيق محمد الفاسي -٠ الرباط ، ١٩٦٨م .

- الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد (ت ٨٣٢هـ/١٤٢٨م). شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام : تحقيق عمر عبد السلام تدمري - ط ١ - دار الكتاب ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- _____ . العقد الثمين في أخبار البلد الأمين : تحقيق محمد حامد الفقي وفؤاد سيد - ط ٢ ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- ابن فهد ، جار الله محمد بن عبد العزيز (ت ٩٤٥هـ/١٥٤٧م) . كتاب نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الوري : تحقيق محمد الحبيب هيلة - ط ١ - مكة المكرمة : مؤسسة الفرقان ، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- ابن فهد ، العز بن عبد العزيز (ت ٩٢٢هـ/١٥١٦م) . بلوغ القرى في ذيل إتحاف الوري بأخبار أم القرى : دراسة وتحقيق عبد الرحمن بن حسين بن عبد الرحمن أبو الخير - رسالة ماجستير لم تنشر ، مقدمة لجامعة أم القرى - كلية الشريعة .
- القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م) . آثار البلاد في أخبار العباد - بيروت : دار صادر ، د.ت .
- ابن كثير ، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (ت ٧٤٤هـ/١٣٧٢م) . البداية والنهاية - ط ٤ - مكتبة المعارف ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
- ابن المجاور ، جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد (ت ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م) . تاريخ المستبصر؛ ضبط وتصحيح أوسكر لوفغرين - لندن: طبع بريل ، ١٩٥١م.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ/١٣١١م) . لسان العرب - بيروت : دار صادر ، د.ت .

ثالثاً : المراجع :

- أبو سليمان ، عبد الوهاب بن إبراهيم . العلماء والأدباء والوراقون في الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري - ط ١ - نادي الطائف الثقافي ، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م .
- رفيع ، محمد عمر . مكة في القرن الرابع عشر الهجري - ط ١ - نادي مكة الثقافي ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .
- عبد الغني ، عارف . تاريخ أمراء مكة المكرمة من ٨هـ - ١٣٤٤ هـ - ط ١ - دمشق : دار البشائر ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م .
- عبيد ، فيصل محمد . زمزم والزمازمة - دار القبلة للثقافة الإسلامية ، ١٤١٥ هـ .
- عنقاوي ، فؤاد عبد المجيد . مكة - الحج - الطواف - ط ١ - بيروت : دار خضر ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م .
- الكردي ، محمد طاهر . التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم - ط ١ - بيروت - لبنان : دار خضر ، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م .
- مغربي ، محمد علي . ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري - ط ١ - جدة : الكتاب العربي السعودي ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- الهيلة ، محمد الحبيب . التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر : جمع وعرض وتعريف مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي - ط ١ - ١٩٩٤ م .

رابعاً : المعربات :

- بتس ، جوزيف . رحلة الحاج يوسف إلى مصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة؛ ترجمة ودراسة عبد الرحمن عبد الله الشيخ - الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٥ م .

- كورتلمون ، جيل جرافيه . رحلتي إلى مكة: ترجمة أحمد محمد حناش ٠ -
مؤسسة التراث ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .
- هورخرونيه ، سنوك . صفحات من تاريخ مكة المكرمة : ترجمة علي عودة الشيوخ؛
صياغة وتعليق محمد محمود السرياني ومعارج نواب مرزا ٠ - دار الملك
عبد العزيز ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م .
- مكة المكرمة منذ مئة عام؛ صاغها مع مقدمة جديدة أنجلو بيشي ٠ - لندن : دار
إيميل. د.ت

خامساً : الدوريات والإحصائيات :

- وزارة الاقتصاد والتخطيط : مصلحة الإحصاءات العامة ، عام ١٤٢٦هـ .